الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

المفكر مالك بن نبي حياته وأعماله

1905-1973 م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الحديث و المعاصر

إعداد الطالب:

ياسين عطوي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
د. مرزوق بتة	استاذ محاضر.ب	رئيسا
أ. عبد القادر خليفي	أستاذ مساعد.أ	مشرفا
د. عبد الله مقلاتي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية: 1436 – 1437 هـ/ 2015 – 2016 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

المفكر مالك بن نبي حياته وأعماله

1905-1973 م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الحديث و المعاصر

إعداد الطالب:

ياسين عطوي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
د. مرزوق بتة	استاذ محاضر.ب	رئيسا
أ. عبد القادر خليفي	أستاذ مساعد.أ	مشرفا
د. عبد الله مقلاتي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية: 1436 – 1437 هـ/ 2015 – 2016 م

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

وَالْذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

سورة فاطر ،الآية10.

. إهداء :

الحمد لله والصلاة و السلام على محمد رسول الله و على آله و صحبه أجمعين

أهدي هذا العمل إلى والدي حفظهما الله عز وجل ، وجزاهما عني خير الجزاء.

إلى زوجتي أم أسامة, وإلى أبنائي حفظهم الله : عبد الغفور ، سارة ، سندس ، أسامة.

إلى روح مفكرنا مالك بن نبي–رحمه الله– وعائلته , وإلى كل أقاربي أطال الله عمر الأحياء في طاعته, وتغمد الأموات بواسع رحمته.

إلى كل من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر ، ومن فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح، إلى أساتذتنا الكرام ، وخاصة أستاذي المشرف عبد القادر خليفي .

ومسك الختام إلى العلماء ورثة الأنبياء ، إلى حماة الوطن والدين من الشهداء والمجاهدين إلى جميع المسلمين.

ياسين عطوي

. شكـر :

أولا أحْمُدُ الله وأشكره ، وثانيا لابد من الاعتراف لذوي الفضل بفضلهم, فإنني أعرب عن شكري وامتناني, وخالص تقديري لأستاذي الفاضل عبد القادر خليفي فجزاه الله خيرا, وحفظه ورعاه, وأطال في عمره, حيث تابع خطوات هذا العمل وأمدني بتوجيهاته, ونصائحه العلمية السديدة , التي كانت لي نورا على الطريق في إنجاز هذا العمل العلمي.

كما لا يسعني أيضا أن أتوجه بأسمى عبارات الشكر, إلى الذين استفدت منهم في إعداد هذا البحث, ووقفوا إلى جانبي ، لكل من تفضل بتقديم النصح والإرشاد وأمدني بالوثائق والمراجع ،وأخص بالذكر الأخ: الطاهر ابرير, فجزاهم الله خيرا.

ياسين عطوي

مـقـدمـة

. مقدمة:

. التعريف بالموضوع:

إن الأمة الجزائرية تمثل جزءا من العالم الإسلامي, المرشح للصمود في معركة تحقيق الذات وحمايتها، كما صمد صانعوا الحضارة الإسلامية من قبل, بما يمتلكونه من قيم سليمة وبما قدموه من أعمال, تلك القيم الحضارية, حضارة إنسانية عالمية بتعبير مالك بن نبي، الذي يعتبر من أبرز فلاسفة الحضارة في القرن العشرين،والذي تنبأ بالتحولات الخطيرة في الثلث الأخير من القرن العشرين.

. أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:

. أهمية الموضوع:

فما نعيشه اليوم من تغيرات في عالمنا المعاصر ينعكس سلبا على المسلمين، الذين يعانون من الظلم والعدوان،وعجز في الإنتاج, وتبعية سياسية, واقتصادية, وثقافية يدفعنا للتفكير في كرامتنا وحريتنا اللتين نلناهما من ربقة الاستعمار الفرنسي , بتلك الثورات بدءا بالأمير عبد القادر, إلى الثورة التحريرية المجيدة , ونستغرب من حالنا بعد الاستقلال فوفاء لأولئك الأحرار ومن أجل نهضتنا, لابد أن نكون اليوم كلنا عبد القادر البطل الهمام وابن باديس العالم الرباني في أخلاقه, وابن نبي العبقري في تفكيره بأمته ومصيرها وحضارتها, الذي انتبه إلى مشكلة الإنسان المعاصر, ووضع أصبعه على الخلل أو الداء.

وكما يقول شاعر النهضة محمد العيد آل خليفة:(إن الجزائر لم تزل في نسلها,أُمًا ولودا خصبة الأرحام), ويقول ابن باديس:(الطينة الجزائرية طينة علمية إذا واتتها الظروف) تحلى مالك بن نبي بثقافة منهجية, استطاع بواسطتها, أن يضع يده على أهم قضايا وطنه الضيق(الجزائر) , ووطنه الفسيح (العالم الإسلامي) ، فألف سلسلة كتب تحت عنوان: " مشكلات الحضارة", بدأها بباريس, ثم تتابعت حلقاتها في مصر, فالجزائر, لإيجاد الحلول المناسبة لنهضتنا و حضارتنا.

. أسباب الاختيار:

اخترت هذا الموضوع لسببين اثنين , سبب ذاتي وهو حب هذا الرجل العظيم "مالك بن نبي"– رحمه الله– وحب فكره, كيف لا وهو يعتمد على القرآن الكريم وسنة النبيﷺ, وسبب آخر موضوعي وهو لفت الانتباه لإخراج الاستعمار من نفوسنا, والعودة إلى الهوية العربية الإسلامية

والاعتزاز بها,حيث أننا جنينا على ثقافتنا بتقهقرنا وتأخرنا,وافتخرنا بلغة المستعمِر, ليس على مستوى السلطة فحسب بل حتى على المستوى العادي من طبقات المجتمع,إذ الاستعمار في عصرنا فكري ثقافي بالدرجة الأولى, فمفكرنا رغم تعلمه في فرنسا وهو ما أتيح له في ذلك الوقت, إلا أنه يفتخر بوطنه وشعبه ولغته, ودينه,حيث ترجم بعض كتبه بنفسه,وألقى محاضرات بلغة عربية راقية, بعد بذل جهد في تعلمها.

. إشكالية البحث:

الإشكالية تدور حول مالك بن نبي, من أين انطلق في استقراء الواقع الاجتماعي والتاريخي؟, وكيف نشأ ابن نبي؟, ومن أين أخذ فكره؟, وما هي مواقفه من قضايا عصره؟ وما هي أعماله التي تركها لأمته؟, وكيف هو مالك بن نبي في ميزان الدارسين؟.

. حدود الدراسة:

هذه محاولة كغيري ممن سبقني يريد إضافة إثراء لما كتب عن مفكرنا, ولفت الانتباه للرجوع لأفكاره, والتفكر في واقع أمتنا التائهة عن حضارتها, مع ما تملكه من مقومات الحضارة فهي لم تتحضر, ولديها فكر أصيل يتلاءم وخصوصيتها, فكر دقيق, واقعي وفعال ومن عند أبناء قومها من بني جلدتها وعقيدتها, ممتثلا قوله تعالى: « إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ», فالإنسان هو صانع التغيير، غير نفسك تغير العالم كما قال الأستاذ ابن نبي,فحدود دراستي هذه عن نشأة مالك بن نبي وفكره، وموقفه من بعض قضايا وطنه في عصره,وأعماله الفكرية, وآراء الدارسين فيه.

. مناهج البحث:

للإجابة عن الإشكالية المطروحة في هذا البحث , اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي الذي يتلاءم مع سرد الأحداث, والمنهج التاريخي التحليلي الاستنتاجي, لكي يتسنى تحليل الأفكار,ومحاولة استخلاص النتائج.

. الصعوبات:

لاشك أن البحث يكتسي أهمية وقيمة من خلال المواضيع التي يعالجها, أو يطرحها والفوائد المرجوة منه, لذا حاولت الاجتهاد قدر المستطاع أن أتجاوز الصعوبات,التي اعترضت سبيل البحث ،أولها أن مفكرا بحجم ابن نبي ليس بالأمر السهل جمع حياته وأعماله, في بحث كهذا عدد الصفحات فيه قليل, ومن أبرز تلك الصعوبات ضيق الوقت وقلة خبرتي في استعمال

العولمة والتكنولوجيا, التي بقدر ما هي خطر على المسلمين تخدم قضيتهم,إن هم أحسنوا استغلالها, ومع ذلك تمكنت في الأخير بمساعدة الأستاذ المشرف خاصة, من تذليل تلك الصعوبات وإتمام هذا البحث.

. وصف لأهم مصادر البحث ومراجعه:

اعتمدت في البحث على سبيل المثال لا الحصر على: كتاب"مذكرات شاهد للقرن" لمفكرنا مالك بن نبي,هذا الكتاب يخدم موضوعي بشكل كبير,فهو مصدر يتضمن قسمين ، يتناول الأول مرحلة طفولة المؤلف مالك بن نبي 1905-1930م ، والقسم الثاني مرحلة دراسته في باريس 1930-1939م,وينقل إلينا شهادة بصر وبصيرة بالأحداث لجزائري يجسد رؤيته الفكرية و نضال شعبه للحفاظ على عروبته ,وإسلامه, ووطنه, أمام مستعمر يحاول جاهدا أن يقطع كل صلاته بماضيه وبهويته.

واعتمدت على مصدر آخر لمفكرنا تحت عنوان:" في مهب المعركة ", والذي يتحدث فيه عن الاستعمار بكل أنواعه ,إذ يشهد العالم اليوم استعمارا فكريا وثقافيا.

بالإضافة إلى المذكرات الجامعية نذكر منها مذكرة ماجستير"معوقات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك بن نبي" , لصاحبها: محمد لعاطف , وأيضا: مذكرة ماجستير" مفهوم السياسة والأخلاقيات السياسية عند المفكر مالك بن نبي (دراسة حالة الجزائر)", لصاحبتها: نعيمة بغداد باي, وكذلك مذكرة ليسانس"مالك بن نبي رجل فكر وإصلاح 1905-1973م" لصاحبيها: الطاهر ابرير, و قويدر بوسويلف.

. خطة البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول، يعالج كل واحد منها جانبا من جوانب إشكالية البحث ، حيث تعرضت في الفصل الأول: إلى حياة مالك بن نبي ومكانته في الجزائر المستقلة , يندرج تحته مبحثان , قدمت في المبحث الأول : نشأته ومغذيات فكره و في المبحث الثاني: تجربته الوظيفية ومكانته في الجزائر المستقلة.

أما في الفصل الثاني فاستعرضت : مواقف مالك بن نبي من قضايا عصره, واندرج تحته مبحثان, الأول: مواقفه من سياسات ومطالب الحركة الوطنية, والمبحث الثاني: الظاهرة الاستعمارية.

وفي الفصل الثالث بعنوان:إسهاماته في المجال الفكري, المبحث الأول: أعماله الفكرية والمبحث الثاني: كتابات ابن نبي في ميزان الدارسين.

وفي نهاية البحث خاتمةٌ رُصِد فيها جملة من النتائج المتوصل إليها, وشُفِّعت بملاحق وفهارس للأعلام والأماكن , والموضوعات .

. الفصل الأول: حياة مالك بن نبي(1905– 1973م):

المبحث الأول : النشأة الاجتماعية ومغذيات فكره:

1 . المولد.

2 . النشأة الاجتماعية.

3 . تعلمه ومغذيات فكره.

المبحث الثاني . تجربته الوظيفية ومكانته في الجزائر المستقلة:

1 . تجربته الوظيفية في الجزائر وفرنسا ومصر.

2 . مكانته في الجزائر المستقلة.

. تمهيد:

امتدت حياة مالك بن نبي رحمه الله ما بين أوائل القرن العشرين وثلثه الأخير، ولم تنقطع شهاداته الحية على مدى تلك الفترة ، من خلال تحاليله الفذة لمجريات الأحداث، ومعالجاته لمشكلات الحضارة، شاهدا على القرن بكل روافده الاستعمارية والثورية، حريصا على نهضة العالم الإسلامي من سباته ، منذ عهد ما بعد الموحدين، إلى دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين[1].

فكانت حياته منذ الطفولة إلى حلقاته وهو متقاعد في بيته، حياة كفاح بالقلم، وجهاد بالدليل العلمي وجوامع الكلم،وهل من جهاد في مجال الثقافات والحضارات، أكبر من نفوذ الكلمة في صنع الذهنيات ، وطرح ما بها من ملابسات وانحرافات ، مثلما جاء في قوله عزَّ وجلَّ:« فَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَ جَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا[2]».

المبحث الأول . النشأة الاجتماعية ومغذيات فكره:

1 . مولده :

هو مالك(المدعو صديق) , بن الحاج عمر, بن الخضير, بن مصطفى بن نبي وأمه زهيرة بن عيسى[3], ولد في 01 جانفي 1905م[4], في مدينة قسنطينة[5],وهو رجل يميل في قامته إلى الطول , سمته الوقار, كثير الاعتناء بهندامه إذا تحدّث انفعل هادئًا مع حديثه و بدا كمن يلد أفكارا, أو يتمخض عنها, إلا أن جوابه حاضر دون شرود , يستخلص المعنى الكبير من المشهد الصغير, بل يستخلص القانون العام من المحادثة العادية , وإن الجالس إليه ليحس أنه أمام

---

[1]- مالك بن نبي, دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين,ط1,دار الفكر ,دمشق,1991م,ص10.

[2]- القرآن الكريم ,سورة الفرقان, الآية:52.

[3]- حوار صحيفة الشروق الجزائرية , ابنة شقيقة المرحوم تروي مسيرة مالك بن نبي , موقع: www.binbadis.net/meetings/item/1499-meetings.html,تاريخ التصفح 20-02-2016م.

[4]- نعيمة بغداد باي, مفهوم السياسة والأخلاقيات السياسية عند المفكر مالك بن نبي,مذكرة ماجستير تخصص فرع سياسي وإداري, قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية,جامعة الجزائر(بن يوسف بن خدة),2005-2004م, ص66.

[5]- محمد الهادي الحسني , "مالك بن نبي المولد و النشأة" ,موقع:

www.binnabi.net/rubrique/detail/102OokY12OvY12Ov/المولد_و_النشأة,تاريخ التصفح 16-02-2016 م.

مفكر كبير, شمولي النظرة , واسع التجربة , يطل على المشكلات من شاهق , فيتاح له أن يحلل , ويركب ولا تحس معه بأية سطحية[1].

وعن مسكنه الذي ولد فيه , تقول السيدة زينب مصقالجي, وهي من أقاربه:(في مسكن[2] يقع بمنطقة الشارع بقلب مدينة قسنطينة تم تهديمه بالكامل، وتحولت الأرض المبني عليها إلى مساحة لركن السيارات[3]، وعندما ولد مالك كان والدَاه في العشرين من العمر، وأبوه يزاول الدراسة بقسنطينة، ومالك هو الذكر الوحيد لوالديه, لأجل ذلك خصّاه بالرعاية المتميزة ، وكان للمفكر الراحل شقيقة كبرى هي والدتي فاطمة "المدعوة عتيقة" ، وهي من مواليد 1902م, والتي توفيت في تونس عام1982م , وأخت تدعى سكينة أقل منه سنا من مواليد 1906م, لحقت بجوار ربها عام 1979م، وقليلون من يعلمون أن والد المفكر مالك بن نبي الحاج ساعد, توفي بعد وفاة ابنه بأربع سنوات , في شهر ماي عام 1977م في مدينة عنابة[4]).

2 . النشأة الاجتماعية:

ولد مالك لأبوين متدينين[5],ولم تكن طفولته تختلف عن أبناء جيله وبيئته,و في هذا يقول مالك: (كنت في السادسة أو السابعة من عمري، و كان وضع عائلتي, قد ساء ماديا فجدي لأبي, باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة، و قد هجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب، فقد هاجر مع الموجة الأولى من الهجرة , التي اجتاحت حوالي عام1908م[6],مدنا كثيرة كقسنطينة وتلمسان، تعبيرا عن رفض أهالي البلاد معايشة المستعمرين

---

[1]- العابد ميهوب, الفكر التربوي عند مالك بن نبي, أطروحة دكتوراه, قسم العلوم الاجتماعية, جامعة محمد خيضر بسكرة 2013-2014م, ص44.

[2]- أما مسكنه بتبسة, لقد صدرقرار بتحويله إلى متحف, ينظر: زرفاوي عبدالله, "محمد عيسى يدعو لرد الاعتبار للمفكر الأستاذ مالك بن نبي", موقع:

www.elkhabar.com/press/article/97448/ /محمد-عيسى-يدعو-لرد-الاعتبار-للمفكر-الكبير-مالك-بن-نبي #sthash.JZQokbSt.dpbs,تاريخ التصفح10-01-2016م.

[3]- هذا الأمر لعلنا نستخف به, لكنه يعبر عن مدى اهتمامنا بأهل العلم والفكر, أما عند الغرب فيحول المسكن لمتحف.

[4]- ابنة شقيقة المفكر, تقول عن جدها:اسمه ساعد المدعو عمر,لأن الكثير ممن يكتبون عن مالك بن نبي بن عمر,ينظر: حوار صحيفة الشروق الجزائرية,المرجع السابق.

[5]- خيرة دحماني,أسس بناء الحضارة في فكر مالك بن نبي, مذكرة ماستر في فلسفة عربية حديثة و معاصرة, قسم العلوم الاجتماعية, جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة, 2014-2015م, ص16.

[6]- موسى لحرش، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي ، المطبعة الجهوية , قسنطينة 2006 م، ص12.

والذي يعد البذرة الأولى, لكثير من الأحداث السياسية, التي جرت فيما بعد وخصوصا لذلك الشعور بضرورة مقاومة المستعمر, الذي تفجر في أول تشرين الثاني "نوفمبر" سنة1954م[1].

لقد عاش الطفل مالك بن نبي في قسنطينة, مع عمه وزوجته بهيجة, ولم يلتحق بأسرته الأصلية في تبسة إلا بعد وفاة عمه, واختلفت حياته فيها عن قسنطينة من حيث العناصر و المؤثرات, وأُدخِل مالك" الكُتّاب[2]" لتعلّم وحفظ القرآن الكريم, ومبادئ الحساب واللغة العربية، غير أنه ما لبث إلاّ قليلا حتى انتظم في المدرسة الفرنسية, و كان والده خريج هذه المدرسة الرسمية, التي تدرس بالعربية والفرنسية, وهو من سيشجعه على الدراسة في فرنسا ويزوده بالمال رغم ظروفه الصعبة .

الأشخاص الذين كان لهم تأثير, في مالك بن نبي, وربطوه تاريخيا بالماضي,هي جدته من أمه السيدة زُليخة, بمثابة مَدْرسته الأولى,التي تكونت فيها مداركه[3]، حيث كانت تروي له عن فترة إنتهاك المستعمر, حرمة مدينة قسنطينة عام1837م[4]، وهو ما اضطر أجداده إلى الهجرة[5], صوب اتجاهات مختلفة.

كان مالك يحرص على أداء شعائره الدينية, ويتردد على المسجد, منذ وقت مبكر من حياته,وكان عمه محمود يصحبه معه للزاوية العيسوية[6]،وبذلك يتضح تكوين ذلك الطفل الديني منذ بداية حياته، وتنشئته تنشئة إسلامية.

لقد ضيق الاحتلال على الجزائريين,وطمس معالم الهوية الوطنية, فحدثت تحولات كثيرة[7],فيتبين أن هذا الواقع الاجتماعي سيؤثر في تكوين شخصية مالك, بدءا من جدته ومحيطه وبيئته, وتعليمه, واحتكاكه , فكان يطمح لإخراج المحتل, والنهوض بأمته إلى الكرامة و الحضارة.

---

[1]- زكي الميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، ط1 ، دار الفكر المعاصر، بيروت،1998م ،ص57.

[2]- مكان لتحفيظ الصبيان القرآن الكريم , ينظر:ابن منظور, لسان العرب, مجلد1, ط1 , دار صادر, بيروت, ص199.

[3]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, ط2,دار الفكر,دمشق,1984م ، ص ص 15, 16.

[4]- الطاهر ابرير,وَ قويدر بوسويلف, مالك بن نبي رجل فكر و إصلاح(1973-1905م), مذكرة ليسانس في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر, قسم التاريخ, جامعة محمد بوضياف المسيلة,2012-2013م, ص4.

[5]- نوع من التعبيرعن رفض الاستعمار , وعدم العيش(التعايش) معه , خاصة الفرنسي البشع بكل ما تحمله من معنى.

[6]- الزوايا القرآنية, منها الإصلاحية على منهج كتاب الله , وسنة نبيهﷺ, ومنها المضللة البعيدة عن المنهج الرباني ينظر:محمد البشير الإبراهيمي,الطرق الصوفية,ط1, مكتبة الرضوان, الجزائر,2008 م,ص ص 5, 6.

[7]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت, 1998م, ص212.

وهذا ما نلمسه في قول السيدة زينب مصقالجي, أنه كان يقول لوالدتها غاضبا باللهجة الدارجة:(الناس القمل مكبّش فيهم, وهوما مكبشين في الحياة[1]) , فكان يؤرقه جمود الناس وعندما تحرك الشارع التونسي في الثلاثينيات[2]، صار يقول لها: (الآن تعلم العرب , كيف يمسحون أنوفهم), وتذكر أيضا أنه كان معجبا, حتى بمجانين مدينة تبسة, ومنهم المدعو " تيرار", الذي كان يشرب الخمر حد الثمالة، ثم يضرب الفرنسيين بزجاجة الخمر، فكان مالك يعود إلى البيت منتشيا فرحا، ويبقى يروي الحادثة وهو يقول:(يا ليتني كنت أنا هو تيرار), وأحيانا من غيظه كان يقول لنا: (يا ليتني كنت مثل حمّه)، وهو شاب أبله لا يعي شيئا, فيتضح أن مالك بن نبي نشأ وهو يعي ما يدور حوله , فكان يؤلمه الواقع الإسلامي وخاصة وطنه الجزائر.

3 . تعلمه ومغذيات فكره :

لوحظ على مالك الطفل ميل طافح وولع ظاهر لحب التعلم, والتعلق بالقراءة ، حتى أنه كان يتلقى دروسا إضافية عن دراسته في المدرسة , في النحو والصرف, والبلاغة والثقافة العربية ، على يد شيخ يدعى" عبد المجيد "[3],وكان مالك حريصا أيضا على الاستفادة من الدروس والحلقات العلمية, التي تدار في المساجد.

أخذت آفاق مالك تتسع في هذه المرحلة لكثرة قراءاته, ومشاهداته الشخصية وخاصة بمتابعته للصحف, فشعر بانتماء يتجه نحو الشيخ عبد الحميد بن باديس, وكان يؤلمه الواقع الذي فرضته الظروف الاستعمارية، لذا حين نشبت ثورة الريف[4],اندفع يشارك رفاقه في كتابة وإلصاق النداءات والبيانات المناوئة للمستعمِر المحتل[5].

---

[1]- الدارجة(العامية) أواللّهجة الجزائريّة,ومكبشين: كلمة عامية بمعنى متمسكين وهوما: وهُمْ, ينظر: حوار صحيفة الشروق الجزائرية,المرجع السابق.

[2]- خليفة الشاطر, وآخرون, تونس عبرالتاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال, ج3, مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية,تونس,2005م,ص110.

[3]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, المصدر السابق ، ص47.

[4]- ثورة الريف في المغرب الأقصى,بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي ضد السلطات الاسبانية.

[5]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, المصدر السابق ، ص ص147 ,148.

تفوق مالك على أقرانه في المدرسة الابتدائية الفرنسية بِتبسة, وشد انتباهه إعجابه بمعلمته السيدة "بيل", ثم جاءت مكانها الآنسة "رافي"، فكان مثالا للنظافة في تلك المدرسة, وأحرز شهادة الدروس الابتدائية سنة1918م بدرجة جيد[1].

انتقل بعدها إلى قسنطينة لمواصلة تعليمه , فحرص أبوه على تلقينه الثقافة الإسلامية إلى جانب دراسة الثقافة الغربية,حيث قام بتسجيله في دروس الشيخ عبد المجيد, الذي كان أستاذاً في المدرسة يُعِدّ فيها التلاميذ الذين يختارون هذا الاتجاه, هذا الشيخ من ناحية و مسيو مارتان "Martin" من ناحية أخرى, كوَّنا في عقله خطين, حدّدا فيما بعد ميوله الفكرية[2].

أحب مالك بن نبي مشاهدة السينما منذ طفولته, فكان مولعا بالشريط الوثائقي الأمريكي "أسرار نيويورك",الذي كان يعرض في قسنطينة أثناء الحرب العالمية الأولى, ومن هنا تركت فيه تلك الأشرطة السينمائية انبهارا وألما في نفس الوقت, فاطلاع مالك على الثقافة الغربية جعل منه يعيش عصره , وهو يستغرب من ذلك المسلم[3],الذي يستهلك المنتجات الغربية دون محاولة التصدير للمنتوجات، فيشاهد التلفزيون, ويركب السيارة والطائرة, دون أن يسأل كيف صنعت؟, فشبهه بالطفل الصغير الذي ينبهر باللعبة[4], فيتبين أن الأمة المنتجة قوية لها منعة و يَهابُها أعداؤها، والأمة المستهلكة ضعيفة وتكون أُلعوبة في أيدي أعدائها.

ففي قسنطينة أصبح مالك يرى الأشياء, من زاوية المجتمع والحضارة,واضعا في هذه الكلمات محتوىً عربيا وأوربيا في آنٍ واحد,ويتبين لنا أنه كانت لدى مالك في روحه قوة منبّهة, تقود كل ما يقع أمام بصره إلى اهتمام مركزي عميق, وكان الإسلام هو ذلك الاهتمام,وهوما يفسره قوله: (فالأجيال تتناقل رسالة ذات طابع سري, لكنها لا تقرأ بطريقة واحدة، لأن شبكة رموزها التي يعطيها التاريخ لكل جيل, كيما يقرأ هذه الرسالة ليست هي ذاتها[5]).

تأثر مالك بالمدرِّس "أوجين يونغ Eugène Yung"، حيث تعرف عليه من خلال كتابه:

---

[1]- موسى لحرش ، المرجع السابق، ص19.

[2]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, المصدر السابق, ص47.

[3]- يتساءل مالك بن نبي عن صناعة الأوربيين للحضارة , مع تأخر المسلمين , ينظر: شريط نادر للمفكر الجزائري مالك بن نبي,موقع:www.youtube.com/watch?v=Tx82t8P0Udg .

[4]- عبد الله بن حمد العويسي،مالك بن نبي حياته وفكره,ط1,الشبكة العربية للأبحاث والنشر العويسي, بيروت, 2012م ص51.

[5]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, المصدر السابق, ص92.

"الإسلام بين الحوت والدب ", فقد رفع كتابه حرارة التيار المعادي للاستعمار في أبناء جيله.

كما تأثر مالك بالشيخ "ابن باديس", فكثير من أفكاره وآرائه تتصل بشخصيته , ولم يتتلمذ عليه,وأخذ يفكر بتأليف كتاب تحت عنوان "الكتاب المنفي", استهوته الفكرة و جعلته أكثر استلطافاً للشيخ ابن باديس, الذي يمثل بنظره الرجل المنفي[1], ويتأسى مالك بعد ذلك عن عدم مجالسته[2], فيتضح أن مالكا تأثر بالشيخ ابن باديس وأعجب به , ولم يدرس عنده.

في يوم **11** نوفمبر **1918**م,بدأ الحديث عن مبادئ ويلسون، ووصف مالك أمريكا قائلا: (إنها قطب العصر في السياسة والعادات وأصبح الدولار متداولا, والعالم أصبح يَتَأَمْرَك[3]).

تميز بن نبي بكثرة مطالعته لكل ما كَتَب المفكرون من كل الأطياف, وتوجيهات "بوبريتيBohreiter" فتحت له آفاقاً جديدة,وكادت أن تأخذ به مأخذا بعيدا,لولا دروس الشيخ مولود بن موهوب،وبن العابد،وكتاب الإفلاس لمؤلفه أحمد رضا, ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده،وفي هذه الفترة أثَّر إبن الساعي في حياته تأثيرا إيجابيا، وأسهم في بناء معرفة ابن نبي من خلال تفسيره للكثير من الآيات تفسيرا اجتماعيا,وإسقاطها على حالة المجتمع آنذاك,وأسهم هذا الأخير في ربط علاقات صداقة مع تلامذة ابن باديس[4],حيث كان لهم دور كبير في التصدي لتلك البعثات التنصيرية, ومن خلال معرفته لهم ومتابعته لجريدة الشهاب, شعر أنه على خط فكري واحد معهم, ورغم ذلك لم يتصل بابن باديس ليتتلمذ على يده, ولا على العربي التبسي, الذي تولدت عنه الحركة الإصلاحية[5].

تخرج مالك بن نبي من الثانوية سنة **1925**م, وبعدها كان همه الوحيد في ذلك الظرف هو الحصول على عمل, فسافر إلى فرنسا لعّله يجد عملا, وحينما لم يجد عاد إلى الجزائر ثم أعاد السفر إلى فرنسا سنة **1930**م, ليس للعمل, وإنما لإتمام دراسته العليا في معهد اللّغات الشرقية,

---

[1]- فكأني بمالك يتكلم عن نفسه, فلا يعرف لأهل الفضل قدرهم إلا أصحاب الفضل, لأنه سيعيش هذه الظروف, كما قال الشافعي– رحمه الله– : والتِّبْرَ كالتُّرْبَ مُلْقَى في أَمَاكِنِهِ...والعودُ في أرضه نوع من الحطب.

[2]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, المصدر السابق, ص131.

[3]- نفسه, ص ص38-41.

[4]- موسى لحرش، المرجع السابق ، ص22.

[5]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, المصدر السابق، ص80.

ليصبح محامياً فيما بعد, لكن رغبته لم تتحقق، ودرس في معهد التقنيات الكهربائية, حيث حاز على شهادة مهندس كهربائي سنة **1935**م[1] .

أثناء وجوده بفرنسا انخرط بجمعية الشباب المسيحي, رغم أنه مسلم وهذا لظروف, وفي مكتبة" سانت جنفييف", تعرف على امرأة فرنسية مسيحية تزوج بها سنة **1931**م[2], فكانت نعم الزوجة , فقد قاسمته حياته في السراء و الضراء,وكانت أول زيارة قادتهما معا إلى الجزائر في عام**1939**م, بعد **14** سنة من الغربة, ثم ليختفي بعد ذلك نهائيا, وتنقطع أخباره عن أهله بالجزائر إلى غاية عام **1946**م, حتى إن والده صار يقول لأخته فاطمة: (إنسي أن كان لك أخا يدعى صدّيق)[3], فيتبين أن صلته وعلاقته بأهله قبل هذا لم تنقطع,أي كان على اتصال بهم حال سفره وغربته.

استطاع مالك بواسطة جمعية الشباب المسيحي , أن يتعرف على أفكارهم ,و يظهر هذا جلياً في كتابه " الظاهرة القرآنية ", ومقارنته بين نصوص القرآن و نصوص الإنجيل[4] وبكثرة نشاطه صار مراقبًا من طرف مصالح الأمن الاستعمارية, خاصة بعد مشاركته في نشاط الحزب الوطني الجزائري"نجم شمال إفريقيا"، وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي انتخبته نائب للرئيس , ولقد زاده بروزاً وتألقاً تلك المحاضرة التي ألقاها سنة **1931**م تحت عنوان لماذا نحن مسلمون؟، فكانت مفتاح شهرة له في الوسط الثقافي الطلابي في باريس.

المبحث الثاني . تجربته الوظيفية ومكانته في الجزائر المستقلة:

1 . تجربته الوظيفية في الجزائر وفرنسا ومصر:

كان مالك طموحا لعمل, فقرر أن يشغل وظيفة عدل في المحكمة الشرعية , ريثما تتحقق تجارته الكبرى في السودان, أو مزرعته في أُستراليا ، لكنه أُجيب بأن عدلاً في المحكمة لا

---

[1]- عمر بن سليمان , البعد الحداثي في فكر مالك بن نبي , مذكرة ماجستير في الفلسفة , قسم الفلسفة , جامعة الجزائر,2008-2009م,ص173.

[2]- لخضر حميدي, مشكلة التغيير عند مالك بن نبي , مذكرة ماجستير فلسفة إسلامية , قسم الفلسفة , جامعة الجزائر,2004-2005م, ص175.

[3]- حوار صحيفة الشروق الجزائرية, المرجع السابق.

[4]- خيرة دحماني, المرجع السابق, ص16.

يمكن أن يُعَيَّن قبل أن يبلغ الاثنين والعشرين عاماً , وزاد فيه الأسى أنه أُعفي من الخدمة العسكرية لأبناء المستعمرات,التي هي عنده أفضل من بقائه عالة على أهله[1] وكان يرسل بطلبات الاستخدام للعناوين التجارية ، لكنها لم تجب عليها.

يتضح أن مالكا كان إنسانا نشيطا يكره الكسل,إذ اتفق مع صديق له يشغل وظيفة عدل في محكمة تبسة على مساعدته بدون أجر، فاعتمدته المحكمة في نهاية الأمر معاوناً متطوعاً وكان يرافق أعضاء المحكمة لتنفيذ الأحكام, والخروج مع أعضاء المحكمة إلى الريف .

وكان اليهود يبسطون نجاحهم في تبسة, فكان انطباعه أنه عصر المرأة واليهود والدولار[2] فالأصغر منه سناً من اليهود يملك مكانا في السوق,وكان يلح من حين لآخر على النائب العام, لعَلَّ الأسابيع أو الأشهر قد تجعله كفئاً لوظيفة العدل, لكن النائب العام ظل متمسكاً بالطبع بموقفه, فالجزائري لا يحق له قبل الثانية والعشرين أن يدخل الإدارة.

فانتقل إلى مدينة" أفلو" للتجارة بجذر القنطس pyrèthre,الذي يباع غالياً في تبسة وقسنطينة، ثم يصدر منها إلى فرنسا لصناعة المواد القاتلة للحشرات[3].

ومن المواقف المضحكة حين مروره بقسنطينة,تقابل مع "دورنون"الذي سأله عما ينوي فعله بالبقاء في مدينة"أفلو" , فأجابه ببراءة : سأتاجر بالـ "pyrèthre" يا سيدي المدير, فذعر وصرخ: تتاجر بتهريب الأسلحة؟, وقد أدرك على الفور, بأنه خلط بين"pyrèthre" ومركبات كبريت الحديد "pyrites", فأوضح له نواياه السلمية,ويعقب عن ذلك:(حتى يطمئن إلى مستقبل الاستعمار في الجزائر,ألم نكن في عام 1928م أليس كذلك؟[4]).

يتبين أن مالكا كان يفهم لغة نوايا الاستعمار,فكان يحسن الخطاب والجواب, وهكذا بقي يبحث عن عمل, وخلال نهاية عطلته بتبسة أبلغ بأن وظيفة عدل فارغة في شاتودان (مدينة شلغوم العيد حاليا), فتقدم لها ووردت موافقة النائب العام بنقله من أفلو إلى شاتودان.

---

[1]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, المصدر السابق,ص159.

[2]- نفسه, ص160, لقد كان مالك دقيقا في ملاحظاته,عميقا في فكره, كيف لا وهو فيلسوف العصر وشاهده, فالحكم الذي أطلقه على عصره,هو ذاته الذي نحياه اليوم .

[3]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, المصدر السابق, ص187.

[4]- نفسه, ص188, ودورنون:هو الشاوش ذو الشخصية الغامضة, كان حاجب المدرسة, وبواب المدير, وأحياناً يعمل مخبراً عنده, وكما كان مع التلاميذ كان مع الأساتذة يحسن لبعضهم ويسيء للآخرين,ينظر: المصدر نفسه,ص58.

وفي محكمة الصلح وقعت له حادثة مع كاتب كورسيكي الأصل , فاستقال[1]مالك, وبعد ذلك عمل مع صهره زوج أخته الكبرى, على تأسيس مطحنة في منطقة تبسة, ثم قرر مالك ومن معه ترك المطحنة.

وفي صيف عام 1930م سافر إلى باريس, واكتشفت الحي اللاتيني ، الذي كان ميداناً للصراع في توحيد الصف بين طلبة الشمال الإفريقي المسلمين، أعلن انضمامه للوحدويين وكان شيئا مقررا في نفسه،أنه عندما تنتصر فكرة الوحدة,سيكون حلقة الوسط بينها وبين "وحدة الشبان المسيحيين الباريسيين", ليتلقى فيها بنو قومه دروساً في الفعالية وفي الأسلوب أو بكلمة واحدة "في الحضارة "[2].

وهكذا بدأت في تلك الفترة تنشأ صورة القومية الجزائرية, وكان مالك ينتسب للطرف الإصلاحي، لأنه كان يمثل في نظره الصورة الجزائرية للفكرة الوهابية[3], التي كان يرى فيها منقذ العالم الإسلامي.

تخرَّج مالك بن نبي مهندسًا كهربائيًّا في سنة1935م , و حاول السفر إلى عدة دول بحثا عن عمل, ولكنه لم يوفق في أي منها،وخلال سنتي"1938.1939م" أسس بعض الإخوان بمرسيليا "نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي من أجل تثقيف العمال الجزائريين", وُظِّف فيه للتدريس[4],ونجح فعلا في مهمته إلى حد كبير، ولكن الإدارة المختصة منعته من مواصلة التدريس ، وبعد دخول الألمان إلى باريس حاول تكوين حركة لتحرير شمال إفريقيا,وألقي عليه القبض في شهر أوت 1944م, حيث أدخل السجن ومكث فيه إلى غاية شهر ماي 1945م, وفي فرنسا تعرف على العديد من الشخصيات البارزة السياسية والثقافية, من شتى بلدان العالم المختلفة.

يتبين أن هذه الأحداث جعلته يقترب أكثر بإحساسه,ونظرته لمأساة وطنه الجزائر والإقبال على دراسة مشاكل العالم الإسلامي, ولمتغيرات العالم من حوله, يدرسها محللا وناقدا ومنظرا.

هاجر مالك إلى مصر(القاهرة) سنة 1956م, حاملا معه مخطوط كتابه "فكرة الإفريقية الآسيوية" في ضوء مؤتمر باندونغ,واتصل بالرئيس "جمال عبد الناصر", الذي أمر بطبع كتابه

---

[1]- مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, المصدر السابق, ص192.

[2]- نفسه, ص227.

[3]- نعيمة بغداد باي,المرجع السابق,ص158.

[4]- نفسه, ص69.

المذكور[1], ومن القاهرة وجَّه خطابا إلى قادة الثورة الجزائرية، ولكنه لم يجد تجاوبا وقد عينته الحكومة المصرية مستشارا في المؤتمر الإسلامي, واستمر عضوا فيه, وتزوج ابن نبي امرأة ثانية قريبة له من عائلة "ابن حواس" , أنجبت له ثلاث بنات[2], وتعتبر فترة وجود مالك بن نبي في مصر من أغنى مراحل عطائه الفكري,إذ ألف فيها العديد من كتبه بالإضافة إلى ترجمة بعض الكتب إلى اللغة العربية,وعقد حلقات علمية مفتوحة لجميع الطلبة في منزله بالقاهرة، تتم فيها مناقشة مؤلفاته وشرح أفكاره،إذ المناقشات والتحليلات الدقيقة لمشكلات العالم الإسلامي,كانت توقض أذهان العديد من الطلبة,وتوضح لهم الحقائق .

2 . مكانته في الجزائر المستقلة:

تَمَكُّنُ مالك من الكثير من اللغات سهّل تواصله مع كل شعوب العالم, فكان محترما بسبب منهجه العلمي القائم على الأدلة الملموسة والبراهين، وكان من المبهورين بأفكاره الرئيس المصري الأسبق أنور السادات.

عند إعلان الاستقلال زار مالك رفقة الدكتور عمار طالبي , الرئيس بن بلة في القصر الجمهوري بالقاهرة للتهنئة,واتصلت بهم الحكومة المؤقتة وطلبت عودتهم, للإسهام في بناء الدولة الفتية،وتم تعيينهم في تكوين المعلمين,وسلم مالك بن نبي منشورا للدكتور عمار طالبي, بعنوان من أجل مليون شهيد[3] وهو مشروع دولة قوية، والمنشور كان يدعو الجيش والحكومة المؤقتة لأن يعطيا الكلمة للشعب، وقد نشرته أسبوعية الشروق العربي في التسعينات.

لم يكن ابن نبي ناقما على أحد من منتقديه, ولم يعد إلى الجزائر إلاّ في سبتمبر1963م في الوقت الذي كان آخرون يركضون من أجل متاع زائل, كانت أخلاق بن نبي بعيدة عن هذه الممارسات, إذ بقي في القاهرة من أجل نشر كتابه الكبير"ميلاد مجتمع", ولم يتسرع للعودة من أجل منصب, ولا من أجل الممتلكات, ولقد اكتفى برسالة إلى بن بلة طالبا منه الدعوة إلى مؤتمر كبير, موضحا ضرورة إرسال دعوة إلى كل من مصالي الحاج وقادة الحزب الشيوعي

---

[1]- علي أرفيس, إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب, مذكرة ماجستير في فلسفة الحضارة, قسم العلوم الإنسانية جامعة الحاج لخضر باتنة, 2011-2012م,ص68.

[2]- إيمان ورحمة, والأخرى توفيت صغيرة.

[3]- هذا المنشورموجود في كتاب: لخضر بورقعة ,مذكرات الرائد لخضر بورقعة شاهد على اغتيال الثورة , ط2 , شركة دار الأمة , الجزائر ,2000م,ص ص317-322, وينظر :الطاهر ابرير,و قويدر بوسويلف,المرجع السابق,ص ص60-64.

الجزائري, الذين سبق لهم أن انتقدوا كتبه بشدة[1], وهذا يدل على أن مالك بن نبي كان من دعاة المصالحة الحقيقية , والديمقراطية .

إن الإقتداء بفكر مالك بن نبي أفيد إلى الجزائر اليوم , لا كمن يتهم مالك بن نبي وشاية وكذبًا[2],عند كل من يرى في فكر مالك بن نبي خطر,لا لشيء إلا أنه يدعو إلى الاستقلال الفكري, كأساس للاستقلال السياسي الحقيقي.

أقام مالك عند عودته للجزائر ندوته الأسبوعية في بيته بالعاصمة , باللغة العربية وبالفرنسية, وداوم عليها لمدة عشر سنوات,وتم تعيينه مديرا عاما للتعليم العالي سنة1967م ولكنه لم يستمر إلا بضعة أشهر[3], وكان الماركسيون يجهرون بعدائهم لمالك بن نبي ووزعوا مناشير لمقاطعة محاضراته , ويقولون أنه عدو الاشتراكية , ولم يتوقف التهميش في زمن بومدين, فعند توجهه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، تفاجأ في مطار الدار البيضاء بالعاصمة, أن اسمه مدوّن رفقة الممنوعين من السفر، وبتدخل صديقه وزير النقل السيد آيت مسعودان ، تمكن من أداء فريضة الحج لآخر مرة في حياته.

لقد هزه ما تعرض له في المطار ،إذ مفكر وعالم بدرجة مالك بن نبي, يتم توقيفه مثل المجرمين،فعلى إثرها أصيب بسرطان الدماغ[4]، فسافر من أجل العلاج إلى باريس وأجريت له عملية جراحية، واسترد بعدها صحته نوعا ما لمدة عشرين يوما، ثم اشتد عليه المرض فنصحه الطبيب المعالج بالعودة إلى بلاده ، فسارع الخطى إلى زوجته[5]و بناته الثلاث, وبعد ثمانية أيام من رجوعه للجزائر توفي-رحمه الله-,في يوم الأربعاء 4 شوال 1393هـ الموافق لـ 31أكتوبر 1973م.

---

[1]- الصادق سلام,"مالك بن نبي وثورة 54",موقع:
مالك_بن_نبي_وثورة_www.binnabi.net/infos/detail/KWi78102Ook9FDiY/54, تاريخ التصفح 06 -02- 2016م.

[2]- الاتهامات :تشيع , نازية , مفهوم القابلية للاستعمار, حب التسلط.

[3]- لتدشينه المركز الجامعي بقسنطينة عام 1968م,فتمت إقالته, ينظر: عبد الناصر, "الدكتور عمار طالبي يتحدث عن صداقته...",المرجع السابق.

[4]- نعيمة بغداد باي,المرجع السابق, ص72.

[5]- زوجته خدوجة بن حواس, من مواليد1920م, توفيت يوم:الخميس 11-06-2015م,عن عمر ناهز95عاما, ينظر:
وفاة-زوجة-مالك-بن-نبي-عن-عمر-ناهز-95-سنة-تاريخ www.ennaharonline.com/ar/hadath/244378 التصفح 12-02-2016م.

مالك حرم من زيارته في مرضه الذي مات فيه,حتى وهو في أيامه الأخيرة لم يعده المسؤولون , فيقول طالبي عن مالك :(للأسف صادفت زيارة قمت بها رفقة السيد عبد الوهاب حمودة إلى بيته لمعايدته, في الثلاثين من أكتوبر 1973م, بلوغه سكرات الموت قلت له: تشجّع فأنت أقوى من أي مرض في العالم، كان إلى جانبنا طبيبه مصطفى الخياطي وبناته وزوجته خدوجة حواس, نظر إلينا نظرة عميقة وأطلق آخر زفرة, فكان عظيما أيضا في موتته، تكفلت بعد تأكدي من موته بإغماض عينيه ، وهذا في حدود الحادية عشرة إلا ربع ليلا ,على بعد دقائق[1] من إطلاق مدفعية الاحتفال, في منتصف الليل, بالذكرى التاسعة عشرة للثورة التحريرية[2]).

لقد حرم ابن نبي حتى من جنازة الكبار، وذرف الطلبة الدموع على وفاته، وتم تشييع جثمانه بمقبرة سيدي محمد، فلم يحضر جنازته المسئولون[3],غير رجل الحزب الأفلاني المرحوم قايد أحمد.

. خلاصة:

تتضح معاناة ابن نبي طيلة حياته, وحقيقة التهميش الذي تعرض له مفكر بقيمته وحجمه الذي دخل السجون الفرنسية منذ الثلاثينات, وكان من الذين نادوا بالاستقلال الكامل ويتبين أن الرجل حوصر في حياته وبعد موته , لكنه تنبأ أنه سيعود بعد ثلاثين سنة , وفعلا صدق اللهَ الرجلُ فصدَقَه , فها نحن اليوم نعود إلى رصد فكره وتمحيصه وتتبع آثاره.

---

[1]- وكأنه يقول سأموت , لتحيا الجزائر المجاهدة, جزائر الشهداء لا الرؤساء, فاشهدوا فاشهدوا فاشهدوا .

[2]- عبد الناصر, "الدكتور عمار طالبي يتحدث عن صداقته..."المرجع السابق.

[3]- دون أن نغفل بعض العلاقات الطيبة مع الرئيسين الراحلين بن بلة وبومدين, من باب الإنصاف , فرجل بقدر مالك بن نبي حُوصِرَ في الحياة وبعد الممات.

. الفصل الثاني: مواقف مالك بن نبي من قضايا عصره:

المبحث الأول: مواقفه من سياسات ومطالب الحركة الوطنية:

1 . موقف ابن نبي من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

2 . موقف ابن نبي من ثورة التحرير.

3 . موقف ابن نبي من مؤتمر الصومام.

المبحث الثاني: الظاهرة الاستعمارية:

1 . أقسام الاستعمار .

2 . القابلية للاستعمار.

3 . الغزو الفكري .

4 . الاستعمار ونهضة المسلمين .

. تمهيد:

يقول الأستاذ مالك بن نبي :(النقد يجب أن لا يكون موقف عداء، يتبادل فيه خصمان الشتم والضرب بالأقلام والجُمَل ، بل موقفا فكريا يتبادل فيه اثنان آراءهما)[1]، ويقول أيضا: (إنه من الممكن أن يرى أحد القراء اعوجاجا فيما أكتب، وأن يتفضل بتوجيه نقده لي فمرحبا بهذا النقد، وشكرا لصاحبه مادام واضحا في مبرراته وبرهانه حتى أستفيد منه، لا مجرد قول تُمليه وتصحبه العاطفة)[2].

ولقد كانت للأستاذ مالك بن نبي مواقفه الشخصية, من سياسات ومطالب الحركة الوطنية وقضايا عصره, نذكر منها مايلي:

المبحث الأول . مواقفه من سياسات ومطالب الحركة الوطنية:

1. موقف ابن نبي من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

مدح الأستاذ ابن نبي الشيخ ابن باديس, في أكثر من موضع في كتبه ، وأعجب مالك بن نبي بجمعية العلماء وأعضائها, وأهدى إحدى مقالاته لها[3].

وجمعية العلماء أعجبت أيضا بالأستاذ مالك بن نبي، ففتحت جريدتا البصائر والشباب المسلم صفحاتهما له، فنشر فيهما عدة مقالات، ووصفه أحد أعضاء جمعية العلماء بأنه:(عبقري من عباقرة العصر الحديث في قطرنا, الذي لا يزال يخرّج عظماء الرجال)[4].

فبالرغم من هذا الإعجاب المتبادل , نجد للأستاذ مالك بن نبي موقفا من جمعية العلماء فقد اعتبر مشاركتهم في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م خطأ كبيرا, و لم يكونوا على جانب من الخبرة بوسائل الاستعمار في مجال الصراع الفكري, حتى يفطنوا إلى هذا الانحراف[5].

لكن يتبين أن العلماء لهم الفضل, في حشد تلك الآلاف المؤلفة من الجزائريين لأول مرة إذ أحست فرنسا خطر ذلك التجنيد عليها، وعلمت أن العلماء هم الذين كانوا سببا فيه, فدبرت

---

[1]- مالك بن نبي, في مهب المعركة, ط3, دار الفكر, دمشق , 2002م, ص142.

[2]- نفسه, ص142.

[3]- نفسه, ص127.

[4]-محمد الهادي الحسني , "مالك بن نبي وجمعية العلم" , موقع:

www.binbadis.net/2015-05-06-13-45-50/item/1469-bennabi.html, تاريخ التصفح25-03-2016م.

[5]- مالك بن نبي, مذكرات شاهد للقرن,المصدر السابق, ص ص319, 320.

مكيدتها بقتل المفتي كحول، واتهمت العلماء لتبطش بهم، وتقضي على مطالب المؤتمر المقدمة التي قد يحتملها ذلك الوقت.

والأستاذ ابن نبي لا ينكر قيمة فكرة المؤتمر الإسلامي، وما أحدثه من تأثير, لكنه ينكر على العلماء أن سلموا قيادة المؤتمر للسياسيين, الذين لا يهمهم إلا مصالحهم الشخصية حيث اتخذوا المؤتمر سُلَّماً يصعدون عليه لتحقيق مآربهم[1].

ويتبين أن العلماء عندما قدّموا أولئك السياسيين, لعلهم استهدفوا أهدافا[2]هي:

1- أظهروا للفرنسيين أن النخبة الجزائرية التي تعلمت في مدارسهم , واعتنقت مبادئهم متمسكة بشخصيتها الإسلامية , وإن قصرت في حقها.

2- أظهروا للفرنسيين والرأي العام العالمي, استعداد الجزائريين للتعامل مع الواقع , الذي لا يستطيع في ذلك الوقت محليا وعالميا تقبل أكثر من تلك المطالب.

3- أظهروا للنخبة التي كانت تحسن الظن بالفرنسيين, أو ببعضهم, أنهم لن يُنِيلُوا الجزائريين أدنى حق من الحقوق, وذلك ما وقع، حيث رفضت المطالب البسيطة , التي قدمها المؤتمر للمسؤولين الفرنسيين، وهذا ما دفع فيما بعد كثيرا من تلك النخبة يصحح نظرته لفرنسا.

والأستاذ ابن نبي يرى أن مدرسة ابن باديس كما يسميها, تعمل على نهج السلف الصالح وأنها أقرب الحركات إلى النفوس, وأدخلها في القلوب, إذ شعارها[3] قوله تعالى: « إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ »[4], لكنها انغرست في وحل السياسة[5].

---

[1]- مالك بن نبي, مذكرات شاهد للقرن,المصدر السابق, ص ص364-368.

[2]- محمد الهادي الحسني, "مالك بن نبي وجمعية العلم" , المرجع السابق.

[3]- مالك بن نبي : شروط النهضة,ترجمة:عبد الصبور شاهين, دار الفكر, دمشق, 1986م, ص25.

[4]- القرآن الكريم ، سورة الرعد, الآية: 11.

[5]- عندما رد ابن باديس على مقال:"فرنسا هي أنا", ذلك الرد لم يشف غليل مالك بن نبي, فكتب من فرنسا مقالا ملتهبا يبين فيه خطورة ذلك المقال و آثاره الشنيعة ، أرسله إلى الأمين العمودي بالجزائر لينشره في جريدته "الدفاع", و لكن العمودي لم ينشره، ولما ذهب وفد المؤتمر الإسلامي إلى باريس, ذهب مالك بن نبي إلى زيارة الوفد, وتكلم مع الشيخ الأمين العمودي: (هيه ياسي العمودي... إنك لم تنشر مقالي عن"المثقفين"), فكان رد الشيخ العمودي:(نعم , إنني لم أنشره عن رواية , حتى لا أحطم مستقبل فرحات عباس , في الحلبة السياسية), ينظر: عليوان سعيد , "الحوار بين الحساسيات السياسية ابن باديس ودعاة الاندماج والتجنيس", موقع:-www.binbadis.net/research-and-studies/benbadis-studies-and-research/item/895-benbadis.html, تاريخ التصفح 22-03-2016م.

فيرى ابن نبي أنه من المفروض في تلك الفترة, أن تبقى الجمعية بعيدة عن دواليب السياسة[1]، وأن تتمسك بالعقيدة الإسلامية في معاملاتها, وحسب رأيه أيضا أن الحكومة الفرنسية هي التي جَرَّت الجمعية إلى الدخول في معترك السياسة، ووضع ثقتها في المستعمر من خلال الحوار, والتي كانت تعلم في قرارة نفسها, أنه لا يفهم لغة الحوار[2].

2 . موقف ابن نبي من الثورة التحريرية:

الأستاذ ابن نبي من أكبر المفكرين إلتزاما بقضايا الوطن والثورة، حيث باركها منذ تفجيرها, إذ كان في انتظارها منذ الثلاثينيات،ولأن أول نوفمبر أخرج الجزائر من المأزق الذي أدخلها فيه السياسيون والمثقفون[3]، وأن قادة الثورة تشبعوا روحيا وهي إحدى مراحل تكوين الحضارة, والثورة هي ثمرة تخلصهم من القابلية للاستعمار.

ويرى ابن نبي أن الثورة الجزائرية هي من صنع الشعب الجزائري كله[4] ، وليست من صنع طبقة خاصة أو نخبة.

انتقد مالك تنصيب صنف من السياسيين على رأس الثورة, ولم يُفهم من بعض القادة في مصطلح القابلية للاستعمار[5]، الذي عزاه منتقدوه إلى مستشرقين غربيين[6].

---

[1]- فكر وهمي , والجهل(مسايرة الانتخاب) في حقيقته وثنية ,لأنه لا يغرس أفكارا,بل ينصب أصناما, ينظر: مالك بن نبي شروط النهضة, المصدر السابق, ص ص28-30.

[2]- مالك بن نبي,مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ترجمة:بسام بركة,وَأحمد شعبو,ط1,دار الفكر,دمشق, 2002م, ص82.

[3]- الثورة الجزائرية وضعت حدا فاصلا بين عهدين من المفاهيم , والرجال , والأحزاب , ينظر: أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945م , ج3 , ط4 , دار الغرب الإسلامي, بيروت,1992م,ص9.

[4]- يقول الدكتور أبو القاسم سعدالله: « إن الذين يعرفون الظروف, التي ولدت فيها الثورة، سيما منذ سنة 1945، يدركون أن هناك رجالًا, كانوا يُعِدُّون لها بطرق مختلفة، وليس بطريق واحد، فمنهم من كان يعدّ لها بتوفيرالأسلحة والتدريب العسكري, ومنهم من كان يحضر لها, بتدبير المال والوسائل المادية، ومنهم من كان يخطط لها بالتكوين المعنوي, وتربية النفوس على حب الوطن, والجهاد في سبيله، ولكنهم كانوا جميعًا يعتقدون, أن "دروسهم" لإعداد الثورة تكمل بعضها البعض، وأنه من الخطإ, إعطاء الأولوية لهذا المدرس أو ذاك, ولكن بعض المتحزبين المتأخرين لم يرقهم هذا التحليل ورأوا أن من الوطنية عدم التسامح مع خصومهم الحزبيين، واعتقدوا أن الثورة إنما هي وليدة حزب, وليست وليدة شعب بل هي في نظرهم وليدة جماعة صغيرة كانت تعمل في الخفاء , وليست وليدة قيادة وطنية مؤمنة, وعريضة كانت تعمل سرًا وعلانية», ينظر:أحمد طالب الإبراهيمي , أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي , ج5, ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1997م , ص ص5-7.

[5]-لقد جاء ابن نبي بمفهوم"القابلية للاستعمار"سنة 1948م, في كتابه "شروط النهضة", وفي ما يخص الثورة المسلحة فإن ابن نبي كان يتمنى اندلاعها سنة 1938م, بُعيد أزمة ميونيخ , التي جعلته يتوقع نشوب الحرب العالمية الثانية ينظر: الصادق سلام," مالك بن نبي وثورة 54",المرجع السابق.

[6]-مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه, ط1, دار الفكر, دمشق,2002م, ص42.

فمالك بن نبي كان يفضل الأميين الذين بقوا على الفطرة , على المثقفين الذين دخلوا دهاليز السياسة وفق منظور الاستعمار، و يقصد النخبة[1] التي تعلقت بفرنسا , ودافعت عن أفكارها الاستعمارية, حتى أنها رفضت هذه النخبة الاعتراف بوجود أمة جزائرية[2].

سافر ابن نبي من باريس إلى القاهرة, وراسل الوفد الخارجي للثورة بتاريخ 01 سبتمبر1956م بالقاهرة, للانخراط في صفوف جيش التحرير كممرض, وكتابة تاريخ الثورة عن قرب[3],فلم يتلق ابن نبي ردا من طرف الوفد الخارجي[4], واعتبر أن قادة الثورة بالقاهرة كان شعارهم أسكتوا لا تتكلموا, إن الاستعمار ينصت إلينا[5].

وفي رأي الأستاذ ابن نبي أن الثورة تسير إلى الوراء, عندما تغير في إيديولوجياتها[6] التي وضعت من أجلها, وأن الكثير من البلدان وجدت نفسها بعد الثورة في وضع مماثل لما كان قبلها إن لم يكن أسوء.

يتبين أن ابن نبي حذَّر من انقلاب الثورة عن مسارها[7], فأنظمة الدول تختلف وتتميز عن بعضها البعض ,(ومما تتميز به الأنظمة العربية الوصاية على الشعوب, وكأنها لم تبلغ سن الرشد بعد, ومن ثمَّ فلا يحق لها اتخاذ أي قرار,لا توافق عليه السلطة الحاكمة مسبقا, فتقيد بذلك الحريات وتكمم الأفواه , فينصرف الناس إلى الانطواء على أنفسهم , خوفا من عواقب ما لا يرضي السلطة , التي تحسن الحفاظ على بقائها من خلال إرهاب مواطنيها , فكل صوت

---

[1]- أبو القاسم سعد الله , الحركة الوطنية الجزائرية, ج 3،المرجع السابق,ص ص71, 72.

[2]- المرجع نفسه ، ص87 .

[3]- يقول الصادق سلام:(وعقب مجزرة " ملوزة " يوم 29 ماي1957م, جرى نقاش إعلامي حول القمع في الجزائر وبالأخص حول تعميم استعمال التعذيب خلال عمليات الاستنطاق, وسط هذه الظروف قام مالك بن نبي بتحرير نص "النجدة.. الجزائر" ، ونشره على حسابه ، كما تكفل بتوزيعه بلغات عدة, ووضع للنسخة العربية عنوان"النجدة.. النجدة الشعب الجزائري يتعرض للإبادة"», ينظر: حميد عبد القادر ,"مالك بن نبي ناقدا للنظام الاستعماري",موقع:
www.elkhabar.com/press/article/98057/ #sthash. 8Cq7ydMX.dpbs ,تاريخ التصفح 16-03-2016م.

[4]- مالك بن نبي ، في مهب المعركة,المصدر السابق ، ص ص13, 80, 81.

[5]- لا يستطيع المجتمع أن يتابع مسيرته بعقول خاوية ,أو محشوة بأفكار ميتة,وضمائر حائرة,وشبكة من الروابط المتهدمة ليس تجمعها وحدة,ينظر: مالك بن نبي,مشكلة الأفكار,المصدر السابق,ص56.

[6]- (إذ بقدر ما تتعدل نظرة الزعيم نحو السلطة، ويتحول تقديره لها, من مجموعة حقوق إلى مجموعة واجبات, يضيق مجال مناورات الاستعمار...), ينظر: مالك بن نبي , بين الرشاد والتيه, المصدر السابق,ص ص33, 34.

[7]- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي,المصدر السابق،ص121, والتحول إنما يرجع لعمل الإنسان.

مخالف لما تراه السلطة, يقدم للرأي العام إمّا على أنه مخالف لروح الثورة وخائن لمبادئها, وإمّا بأنه متآمر مع قوى خارجية لضرب الاستقرار)[1].

اعتبرالأستاذ مالك بن نبي أن الثورة المسلحة في الجزائر, تجسيدٌ لأفكاره على أرض الواقع، وخدمها من خلال برنامج صوت العرب بإذاعة القاهرة[2], والاستعلامات المصرية نشرت كتبه الرافضة للاستعمار، فكان مهددا ومراقبا من المخابرات الأجنبية.

لقد نبه ابن نبي أن البناء الحضاري لأي أمة , إنما يتحقق من خلال قيام كل فرد بواجباته تُجاه المجتمع,إذ سياسة المطالبة بالحقوق في مسار الحركة الوطنية الجزائرية قبل الفاتح من نوفمبر1954م, لم يَجْنِ الشعبُ الجزائري منها إلّا المراوغة , والخداع والقمع والدليل مجازرماي1945م, وما إن تكاتفت جهود جميع التيارات الفكرية والسياسية في مسار الثورة, وجد الاستعمار نفسه مرغما على التراجع يوما بعد يوم, إلى أن كان الاستقلال.

من هنا يتبين أن السياسة لن تكون ناجحةً , إلّا إذا كانت مائدتُها مائدة الواجبات لا مائدةُ الحقوق, أي اجتماع السياسيين لتقسيم الأدوار في خدمة الأمة , حينها فقط ستتكامل الجهود أما إذا كان اجتماعهم حول موضوعات الحقوق والغنائم , فسوف يحدث التنافر والصراع والتآمر, وينتشر الفساد, وتضيع مصالح الأمة.

3 . موقف ابن نبي من مؤتمر الصومام.

مؤتمر الصومام حدث كبير في الثورة، يهدف إلى تنظيم الثورة ، بعد عامين من الكفاح وتسطير مستقبلها في السنوات القادمة.

فحسب رأي بن نبي أن هذا المؤتمر قد كرس التفرقة والتشتت, لأن بيان أول نوفمبر نص على وحدة القيادة، وتوحيد الصفوف بين مختلف التيارات, ضف إلى ذلك تهميش بعض الأطراف, مثل الوفد الخارجي وقيادة الغرب والأوراس.

لقد ساءَ الأستاذَ ابن نبي ما آلت إليه أمورُ الثورة,إذ يقول:(وهذا الوضع الذي يجب على الشعب الجزائري أن يعرف حقيقته...أيد تتقاذفه ...على الطريقة التي يريدها الاستعمار ويؤيدها علنا وخفية)[1].

---

[1]- محمد لعاطف , معوقات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك بن نبي , مذكرة ماجستير فلسفة , قسم الفلسفة جامعة الجزائر,2007-2008م,ص27.

[2]- الطاهر ابرير,وقويدربوسويلف, المرجع السابق ,ص51.

من هنا يتضح لنا أن الأستاذ مالك كانت له قدرة كبيرة, في تفسير ما يحدث من الأمور ولم يعجبه ما حدث في مؤتمر الصومام, فيرى أنّ عبان رمضان وجوده كان بسبب الفراغ الذي تركه مفجري الثورة,أو أنه التحق بالثورة عن طريق دسه فيها من طرف الاستعمار[2].

فنادى ابن نبي بإنهاء هذا الوضع الذي ينافي روح الثورة[3],إذ السياسة تستطيع المراوغة لكن الثورة لها أخلاقياتها[4].

ويتساءل ابن نبي عن تصرف القيادة التي كونها مؤتمر الصومام , من وجهتين هما: **الأولى:** أن القيادة الفرنسية استطاعت أن تنشئ خط موريس المكهرب بكل هدوء, دون أن تقوم القيادة الجزائرية الجديدة بأي مجهود يبطل هذا المشروع ، أو يعطله على الأقل.

الثانية: وعلى العكس إن القيادة الجزائرية عطَّلت في هذه الفترة بالذات, تموين الجيش في الداخل بالسلاح و الذخيرة، بل تبطله في الوقت الذي كان يجب فيه تنشيطه, نظرا لبناء خط موريس.

فالنشاط الثوري بدأ يخمد منذ مؤتمر الصومام , و للقوات الاستعمارية أن تسترجع أنفاسها التي فقدتها خلال معارك"1954-1955م", و يرى ابن نبي سكوت النخبة المثقفة عن الوضع كان خطرا عليها وعلى الثورة , وأن الثورة مهمة الجميع , ولابد من توحيد الصفوف ويبقى القرار المصيري للثورة بيد القلة الذين فجروها, مقارنة بالذين التحقوا بها فيما بعد وحدثت عدة تصفيات للذين لم تعجبهم مقررات المؤتمر، فيقول:(يجب أن يفتح تحقيق في الظروف المريبة, التي وجد فيها حتفهم أولئك الرجال, الذين قادوا الثورة في خطواتها الأولى,مصطفى بن بوالعيد,عباس لغرور,يوسف زيغود ,بن مهيدي,...صلة مقتل هؤلاء الرجال بأولئك الذين نصبوا أنفسهم قيادة مستقلة بالعاصمة,...يهدفون بكل وضوح إلى الاستيلاء على مقاليد الثورة,كما يبدو ذلك أيضا في اختطاف بن بلة "[5].

---

[1]- لخضر بورقعة, المرجع السابق، ص318.

[2]- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي, المصدر السابق، ص122, ينظرأيضا: أبوالقاسم سعدالله , تاريخ الجزائر الثقافي, ج10, دار البصائر,الجزائر,2007م,ص ص131-133.

[3]- لخضر بورقعة, المرجع السابق، ص318.

[4]-مالك بن نبي, بين الرشاد والتيه, المصدر السابق، ص28.

[5]- لخضر بورقعة, المرجع السابق، ص ص 319, 320.

فابن نبي كان متأكدا من عبّان أنه كان بالفعل متواطئا بتصرفاته المريبة, حتى آخر لحظة من حياته من أجل الإجهاز على قيادة الثورة, لاغتصاب السلطة ومحاولة استخدامها ضد الثورة ذاتها, وأما مصالي في نظر مالك بن نبي أنه قام بدوره عن حسن نية , رغم أن مخططه خدم الاستعمار, وأن مدرسة مصالي كونت حفنة زعماء صغار قتلوه والثورة ثم انتهى به الأمر أن تنكر هو نفسه للثورة تكبرا وغطرسة[1].

فيرى مالك بن نبي أنه رغم عظمة الثورة، فإنها احتوت على أخطاء كبيرة جدًّا، وهي كغيرها من المشاريع النهضوية العربية ، تعاني من غياب ورفض النقد الذاتي، الذي يُمَكِّن النهضة من السير وفق المسالك السليمة، حتى لاتتكرر نفس الأخطاء بسبب ذلك الرفض إلى انتشار ثقافة التلقينِ والتسميع والتقليد، على حساب ثقافة التفقيه والتأصيل والنقد والاجتهاد بحيث صَعُبت علينا كجزائريين والمسلمين العرب عموما, مواكبةُ مستجدَّاتِ الحياة المعاصرة, وباتت مواقفنا آليةً تخلو من الأصالة, والفعالية, والمصداقية, إلى يومنا هذا.

فأكبر مسؤولية تتحملها تلك الفئة الواعية المثقفة ,لأنهم هم الذين في إمكانهم خدمة الأمة خدمةً صحيحة , فلا يمكن أن نتصور تاريخا بلا ثقافة, فالشعب الذي فقد ثقافته قد فقد حتما تاريخه[2], والثقافة بما تتضمنه من فكرة دينية تغذي الحضارة, وهكذا يتركب التاريخ.

ولهذا حرص مالك على توجيه العمل السياسي , وفق ثلاثة شروط على الأقل:

1)- الوضوح وتحديد الأهداف , لا غموض ولا تأويلات , ولا فوضى ولا تسيب.

2)- وضع التشريعات والعدل في تطبيقها,وتحصينه(حماية عدل التطبيق),لاحبرًا على ورق.

3)- وضع جهاز رقابة نزيه لتفادي الظلم(استقلالية القضاء), يحفظ المواطن[3] من إجحاف العمل عن جهل,أو سوء نية من يقوم بتنفيذه.

والواقع المرير في مجتمعات العالم الثالث (المجتمعات المستعمرة), وكما يظهره واقع الفرد في نفسيته, دفعت بهم إلى السيرعكس اتجاه التقدم, والاستسلام والدفاع عن المشاريع الاستعمارية, وتأييدها, وإصدار الأحكام وفقا لمقاييس الاستعمار.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله,تاريخ الجزائر الثقافي,ج10, المرجع السابق,ص132.

[2]- مالك بن نبي, شروط النهضة,المصدر السابق, ص85.

[3]- للابتعاد عن الديكتاتورية, ينظر: مالك بن نبي, شروط النهضة, المصدر السابق, ص85,ص124.

فمثلا نجد من المسلمين من يرفض مشروع أسلمةِ المعرفة الاجتماعية والإنسانية, الذي يهدف إلى جعل العلم وسيلة لتحقيق النهضة الإسلامية[1], وذلك بدعوى عالمية المعرفة وأن هذا نوع من المزايدة والتعصب, لكنهم في مقابلِ ذلك يسعون جاهدين من أجل" أسلمة العنف والإرهاب[2]", كظاهرةٍ اجتماعية ناتجة عن الظلم , والقهر الاجتماعي من جهة, والجهل بسنن التغيير من جهة أخرى, فهذه الازدواجية في إصدار الأحكام حتى من طرف النخبة المثقفة, إنما ترجع إلى اعتماد المقاييس الاستعمارية.

يطالب ابن نبي بإنشاء علم اجتماعي خاصٍّ بمرحلة الاستقلال،لأنه يعتبر أن فترة الاستقلال وما بعدها تعتبر طورًا آخرًا من أطوار الثورة التحريرية, إذ كانت تتطلب عرق الشهداء من أجل الاستقلال، أمّا الثورة بعد الاستقلال فتتطلب عرق الأحياء في عملهم المشترك، أي مواصلةُ الكفاح من مقتضيات التحرير إلى متطلبات البناء[3].

ومن هنا يتضح أن خدمة الوطن ليست بإخراج المحتلِّ منه فقط , بل تتعدَّاه إلى بنائه وتطويره, وهذا ما يأخذنا للحديث عن نظرة الأستاذ مالك بن نبي للظاهرة الاستعمارية.

المبحث الثاني . الظاهرة الاستعمارية:

شغلت الظاهرة الاستعمارية حيزا كبيرا عند المفكر مالك بن نبي, في كتاباته ومحاضراته وذلك لأنه أحد أبناء هذه الشعوب التي خضعت للاستعمار، حيث دعا إلى ضرورة دراسة ظاهرة الاستعمار دراسة علمية وعملية ، والخروج من القابلية له.

1 . أقسام الإستعمار:

من الممكن تقسيم[4] الاستعمار إلى ثلاثة أنواع وهي:

أولا :الاستعمار العسكري الاستيطاني:كما يحدث مع فلسطين.

ثانيا :الاستعمار العسكري: كما حدث في الجزائر وأفغانستان والعراق.

---

[1]- فمثلا مشروع التعريب في الجزائر تم إجهاضه, وهو هدف للحلم الاستعماري,إذ اللغة الفرنسية سلاح إيديولوجي وثقافي.

[2]- الدول الاستعمارية تحارب الإسلام والمسلمين من كل عرق, بحجة القضاء على الإرهاب والجريمة, وفي الحقيقة هم المجرمون تسلطوا على العرب المسلمين ,لأن الثقافة تختلف بين الشعوب العربية وحكامها,كاختلاف الإسلام والغرب.

[3]- مالك بن نبي, بين الرشاد والتيه, المصدر السابق , ص ص43, 44.

[4]- حسن موسى محمد العقبي , مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة,مذكرة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة, قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة,الجامعة الإسلامية , غزة, 2005م, ص75.

ثالثا :الاستعمار الفكري والسياسي والاقتصادي: وهو سيطرة الدولة القوية سياسيا واقتصاديا, مع إبقاء الدولة المستعمَرَة الضعيفة أمام العالم كأنها دولة مستقلة ، أي تعترف باستقلالها وسيادتها ، فتستعمِر العقول والأدمغة فتجعلُها تبعاً لها , وتجعل القرارات السياسية لهذه الدولة بيد الدولة المستعمِرَة، وذلك عن طريق عقد الاتفاقيات بينهما.

فيتبين أن الاستعمار يقوم باستخدام كل الأنواع ، حسب الظروف المتاحة له .

2 . القابلية للاستعمار:

إنْ كان المعاملُ الاستعماري يُؤثرُ في الفرد ويُنْقص من قيمته الإنسانية, فإنه بالمقابلِ ثَمّةَ معاملٌ داخلي يجعل الفرد يقبل الوضع الاستعماري, ويسير في وفق ما يرسمه له,هذه الظاهرة أو المعامل, ابتكر له مالك بن نبي مصطلح القابلية للاستعمار"colonisabilitè" ويقصد به التخلف الذهني والسُبات , اللذين رزخت تحتهما الشعوب قروناً عدة ، قبل أن تستفيق على المأساة الاستعمارية[1], وهناك بلدان لم يدخلها استعمار لكن بها القابلية له كبعض بلاد افريقيا[2].

والجزائري مثلا, سمَّتْه[3]الإدارة الاستعمارية بـ"الأهلي", لتقليل قيمته[4], فيرى ابن نبي أن المجتمع الجزائري اضطر إلى الانطواء على نفسه بعمق, بعد أن فُرض عليه الرضوخ للاستعمار بقوة السلاح, وأساليب النظم السياسية, والاقتصادية , والعسكرية التي لا ترحم وظروف اجتماعية قاهرة, حرمت الفرد الجزائري من التعليم, تحت قاعدة الجاهل يسهل تسييره واستغلاله, وسلبت منه أرضه,ويصف المفكر ابن نبي حال الشعب الجزائري أثناء الاستعمار, حيث كان الفرد يولد والتشاؤم يملأ أعماقه وروحه, ولعل وضعه البائس ضمن التعليلات الصوفية الكاذبة, كان يقيمها مقام الدوافع المعللة للقابلية بدعم فرنسي في تجهيل الشعب, وزراعة الوهن فيه عن طريق تشجيع الدروشة والخرافات[5].

مما سبق يتبين أن الجزائريين لم تكن بهم قابلية للاستعمار,وذلك ما تثبته مقاومتهم له بدءا بالأمير عبد القادر إلى ثورة التحرير , والمبدأ العام للتخلص من الانهزام النفسي, والقابلية للاستعمار, لابد بالرجوع إلى جادة الصواب والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي, وهو ما يقرره قوله

---

[1]- مالك بن نبي, القضايا الكبرى, ط1, دار الفكر, دمشق, 2002 م, ص ص 31, 32.

[2]- محمد شاويش, مالك بن نبي والوضع الراهن, ط1, دار الفكر, دمشق,2007م, ص109.

[3]- مالك بن نبي : شروط النهضة,المصدر السابق،ص31.

[4]- مالك بن نبي : القضايا الكبرى,المصدر السابق ، ص ص31 ,32 .

[5]- نفسه، ص33.

تعالى: « إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ »[1], فالإنسان إما أن يُغَيِّر نفسه ووضعه, وإما أن يخضع لغيرِه, لا كما كانت تشجعه فرنسا بالدروشة والخرافات.

فمشكلة الدول المستعمَرة في عصرنا مشكلة أفكار, وهيمنة الجمود والتقليد, وخير مثال اليابان الذي وقف من الحضارة الغربية موقف التلميذ, ووقفنا منها موقف الزبون[2].

فما يسميه الأستاذ مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار, أن أفراد المجتمع الإسلامي يتصِفون بنوع من السلبية واللامبالاة, تجاه مشكلات واقعهم الأليم الذي خَطَّط له الاستعمار.

3 . الغزو الفكري :

الاستعمار حرص على تبديل وتغيير الأفكار, والقيم, والعقائد، لإخضاع المغزو بشكل تام مستخدما في ذلك دراساتٍ وأساليبَ, مثل التبشير، والاستشراق، والتغريب[3].

من هذا المنطلق أخذ مالك يدرس الاستعمار, إذ يقول:(والحق أننا لم ندرسِ الاستعمار دراسة علمية كما درسنا هو، حتى أصبح يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية, وحتى الدينية من حيث نشعرأولا نشعر)[4], فعلينا استخدام النظريات والعلوم لمحاربة الاستعمار, والانتصار عليه, بنفسِ الأساليب التي يستخدمها للسيطرة علينا.

إذ الدول الاستعمارية باختراعها السلاح النووي[5](الذري), اقتنعت أن قيام حرب كونية ثالثة أمرٌ مستبعد, وأن القوة العسكرية لم تعد سلاحا أساسيا, وإنما يضاف إليها إعاقة الحركة الفكرية في البلاد العربية والإسلامية وتشويهها, وفق رصد أي حركة فكرية فعَّالة حتى ولو لم تكن مرئية, والقضاء عليها في مهدها, فيقول ابن نبي:(حين ينبع عقل واع ذكي فإنّ الاستعمار يحاول بوسائل شتى تحطيمه, فإذا ما بدا عصيا عنيدا, حطم أسرته ليشل نشاطه وهكذا يعوق

---

[1]- سورة الرعد, الآية: 11.

[2]- مالك بن نبي, تأملات, ط1, دار الفكر, دمشق, 2002م, ص187.

[3]- مالك بن نبي , شروط النهضة, المصدر السابق,ص155.

[4]- جيلالي بوبكر,البناء الحضاري عند مالك بن نبي,دار المعرفة,الجزائر,2010م,ص ص126-128.

[5]- الدول الاستعمارية تمتلك السلاح النووي, وتحارب من يبحث عن اختراعه من المسلمين, مثل ما فعل بالعراق.

الحياة الفكرية في البلاد , فيعوق تطورها)[1], حيث يحرف منهجياً معادلة[2]الفرد المستعمَر,لتصبح مصبوبة في قالب ضيق يهيئه الاستعمار, ليبقى فردا مغلوبا على أمره[3].

كما أن الاستعمار يستقطب القوى الفاعلة والمثقفة في البلاد المستعمرة, وتعبئتها لحساب فكرة متجسدة تجسدا تصبح معه أقرب إليه منالا, يستخدمها بالمال, أو المنصب, أو السياسة وبأي وسيلة من وسائل القوة أو الإغراء , من أجل التأثير على بقية أفراد المجتمع[4].

4 . الاستعمار ونهضة المسلمين :

لقد آلم المفكر مالك بن نبي ألمًا كبيرا تأخر العالم الإسلامي، فاستخدم مصطلح المرض بدل مصطلح الضعف، وهو يرى أن العلاج بتحديد أسباب المرض لا أعراضه, إذ يقول : (فإن من الواجب أن نضع أعيننا على المرض بالمصطلح الطبي, لكي تكون لدينا عنه فكرة سليمة، لأن الحديث عن المرض والشعور به ,لا يعني بداهة الدواء)[5].

وللتعرف على أسباب ضعف المسلمين, لابد من دراسة مرضِيَّة للمجتمع الإسلامي كـ(طبيب يواجه حالة مريض بالسل الجرثومي، فلا يهتم بمكافحة الجراثيم، وإنما يهتم بهيجان الحمى عند المريض, والمريض نفسه يريد أن يبرأ من آلام كثيرة من الاستعمار، من الأمية من الكساح العقلي, من ...., وهولا يعرف حقيقة مرضه , ولمْ يحاول أن يعرفه, بل كل ما في الأمر شعر بألم، فاشتد في الجري نحو الصيدلي...., يأخذ من آلاف الزجاجات ليواجه آلاف الآلام),ويستفيض ابن نبي في عرض واقع العالم الإسلامي بقوله:(فالعالم الإسلامي يتعاطى هنا حبَّةً ضد الجهل ، ويأخذ هناك قرصاً ضد الاستعمار, وفي مكان قصي يتناول عقاراً كي يُشْفى من الفقر، فهو يبني هنا مدرسةً ويطالب هناك باستقلاله ، وينشئ في بقعة قاصية مصنعاً، ولكننا حين نبحث حالته عن كثب لن نلمح شبح البرء[6]) ,لأن ذلك كان علاجاً لأعراض المرض لا جوهره , فلابد من الدقة في تشخيص المرض, ليعرف سببه الحقيقي لا الأعراض.

---

[1]- مالك بن نبي , وجهة العالم الإسلامي , ترجمة: عبد الصبور شاهين , ط1, دار الفكر, دمشق, 2002م, ص115.

[2]- منهج المفكر دقيق في تفسير الظواهر, يستعمل المصطلحات الرياضية العلمية, مثل :معامل ,معادلة,قسمة,ضرب... .

[3]- مالك بن نبي, شروط النهضة, المصدر السابق, ص152.

[4] مالك بن نبي , الصراع الفكري في البلاد المستعمرة, دار الفكر, دمشق,1981 م, ص ص17-24.

[5]- مالك بن نبي, شروط النهضة, المصدر السابق, ص40.

[6]- نفسه ,ص ص41, 42.

ويقدم ابن نبي لنا مثالا عن العلاقة بين الصبي والمجنون, إذ يقوم الصبي باستفزاز المجنون الفاقد لإرادته،والتلذذ بردود أفعاله الانفعالية, والحل لمثل هذا المشكل يكمن في علاج المعتوه من مرض فقدان الإرادة, وليس في توجيه اللوم للصبي, فمهما طالت مدة استنكارنا واشتدت لهجتُها ضد الصبي, فإنها من المستحيل أن ترد للمعتوه رشدَه , لهذا فالطريق الصحيح هو علاج مرض فقدان الإرادة للمسلم, وليس لوم الاستعمار[1].

لقد بين ابن نبي أهمية الإنسان في النهضة، والتأكيد على توجيه ثقافته[2],وعمله , ورأس ماله مثلما كان حال المجتمع الإسلامي في بدايته على تلك العقيدة[3], التي كانت توجِّه سلوكات المسلم, إذ الدين علاقة روحية بين الله والإنسان , وعنصر رئيسي في ترابط المجتمع وبنائه.

إن البدء بتغيير الفرد هو الشرط الجوهري لكل تحول اجتماعي رشيد، فحينما تسيطر النزعة الاجتماعية على حساب النزعة الفردية, فهي الطريق الصحيح باتجاه التغيير والنهضة والتحضر, فتماسك النظام الاجتماعي يقتضي الحد من حريات الأفراد المطلقة داخل المجتمع, التي تؤدي إلى الفوضى والهدم , بدلا من أن تكون أداة للمنافسة والإبداع أي لا تقوم على أساس من حقائق الجنس ,أوعوامل السياسة , بقدر ما تخضع لخصائص المجتمع الأخلاقية, والجمالية ,والصناعية[4],فلابد من اهتمام الفرد بشؤون المجتمع قبل الاهتمام بنفسه[5].

فيتبين أن العلاقات الاجتماعية في حقيقتها ,ما هي إلا تجسيد للعلاقة الروحية بين الله والإنسان, التي تنشأ عنها قيم أخلاقية , وهذه بدورها هي التي تحافظ على ترابط العلاقة الاجتماعية وتماسكها[6],وحينما يتحدث مالك بن نبي عن التماسك الاجتماعي, لا يغفله بين الرجل والمرأة, لأن المجتمع المتماسك هو الذي يقوم فيه كل من الرجل والمرأة بواجباته المتكاملة, إذ مصدر التمزق الاجتماعي هو استبعاد طرف للأخر[7].

---

[1]- مالك بن نبي, شروط النهضة, المصدر السابق, ص133.

[2]- نفسه, ص77.

[3]- مالك بن نبي, وجهة العالم الإسلامي, المصدر السابق, ص54.

[4]- نفسه, ص21.

[5]- مالك بن نبي, مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي, المصدر السابق, ص42.

[6]- مالك بن نبي, ميلاد مجتمع, ترجمة:عبد الصبور شاهين, ج1, دار الفكر, دمشق,1981 م, ص ص108-110.

[7]- مالك بن نبي, في مهب المعركة, المصدر السابق, ص98.

. خلاصة:

ظل ابن نبي يجاهد وينصح إلى أن وافته المنية, نظرا للظروف الاستعمارية التي عاشها في الجزائر.

الفصل الثالث : إسهاماته في المجال الفكري:

المبحث الأول: أعماله الفكرية:

1 . مواضيع اجتماعية.

2 . الصراع الفكري والثقافي.

3 . في آفاق العالم الإسلامي.

المبحث الثاني: مالك بن نبي في ميزان الدارسين:

1 . عمار طالبي.

2 . عبد العزيز برغوث.

3 . محمود محمد شاكر.

4 . محمد المبارك.

5 . عبد العزيز الخالدي.

6 . مصطفى السباعي.

7 . أنور الجندي.

8 . محمد العبدة.

9 . معمر حبار.

10 . محمد بغداد باي.

11 . زكي الميلاد.

12 . عمر كامل مسقاوي.

13 . نورة خالد السعد.

14 . عبد السلام الهراس.

15 . عبدالله العقيل.

16 . الطاهر سعود.

17 . أبو القاسم سعد الله.

. تمهيد:

لقد ترك الأستاذ مالك بن نبي العديد من المؤلفات, أغلبها باللغة الفرنسية, ثم ترجم بعضها إلى اللغة العربية,فله ما يزيد عن عشرين كتاباً مطبوعاً، طبعت بالقاهرة ودمشق والجزائر,وكلها تدور حول مشكلات الحضارة, وبين أهمية الإنسان في النهضة بكونه المحرك لعناصر النهضة الأخرى , وكيفية تحقيق فعاليته, في الحركة التغييرية فيرى ذلك من خلال توجيهه, فكم من طاقات وقوى لم تستخدم؟، لأننا لا نعرف كيف نستخدمها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها؟، إذ بالمقابل العقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت, فأسُسُ شروط النهضة: الإنسان, والوقت والتراب, تتطلب عاملاً آخرا وهو العامل النفساني، فلابد من ربطها بالعقيدة الإسلامية إذ عندنا أكرم العناصر الموجودة في العالم،وعندنا أخصب المساحات الترابية, وعندنا الساعات الزمنية الكافية للإبداع والابتكار, ثم يتساءل ابن نبي عن الشيء الذي ينقص هذه الأمور؟, ويجيب عنه في نفس الوقت, إنه العمل بموجب العقيدة الإسلامية , فلا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها, ولا يقاس غنى المجتمع العربي الإسلامي بكمية ما يملك من أشياء, بل بمقدار ما فيه من أفكار, وكل كلمة لا تحمل نشاطا معينا, هي كلمة فارغة كلمة ميتة مدفونة في نوع من المقابر نسميه القاموس[1].

فلقد أحدثت موضوعات هذه الكتب أثرها, في توعية الشباب عن الاستعمار الغربي, الذي يجثم على صدور الشعوب الإسلامية ، ونبهنا إلى أن الأخطر من الاستعمار هو القابلية له فلا غالب إلا الله وأن المسلمَ الحقَّ هو الأعلى,وأن الإسلام هو الدين الحق وأن المستقبل له.

ألف مالك بن نبي سلسلة أعمال عنوانها "مشكلات الحضارة", لتبيين مكامن قصورنا مقارنة بالحضارات التي تقدمت علينا وتركتنا خلفها،ولا يغفل الكاتب أننا أمة إسلامية منضبطة بدين, فيعطي صورة شاملة لشكل الحضارة, وفقا لروح الإسلام ومبادئه العظمى.

[1]- مالك بن نبي , ميلاد مجتمع,المصدر السابق, ص37.

المبحث الأول- أعماله الفكرية:

هذه مجموعة من إنتاج مالك بن نبي الفكري, ما وسعني الإطلاع عليه, وسأعتمد في تقسيم المؤلفات على طبيعة مواضيعها, كالتالي :

1. مواضيع اجتماعية :

-الظاهرة القرآنية[1] :

الكتاب عدد صفحاته328 صفحة, يتناول فيه ابن نبي أهمية الظاهرة الدينية, وفرق بين المذهب المادي والمذهب الغيبي, وقارن بين القرآن والكتاب المقدس(الإنجيل)[2].

- تأملات[3]:

الكتاب عدد صفحاته 240 صفحة, وهو حصيلة تأملات مالك بن نبي للمجتمع العربي وما يحيط به خلال الخمسينات و بداية الستينات.

- ميلاد مجتمع :

الكتاب عدد صفحاته111صفحة, تناول فيه ابن نبي بالتحليل والدراسة للعوالم الثلاثة, التي يتكون منها كل مجتمع, وهي: عالم الأفكار,والأشياء,والأشخاص, التي تشكل فيما بينها شبكة العلاقات الاجتماعية.

- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي :

الكتاب عدد صفحاته184 صفحة, يقوم الكتاب على فكرة محورية مفادها أن مشكلة العالم الإسلامي مشكلة أفكار لا مشكلة وسائل , ويحتوي الكتاب على سبعة عشر فصلا ، وقد تمحورت حول مشكلات الحضارة في العالم الإسلامي[4].

- لبيك حج الفقراء[5]:

الكتاب عدد صفحاته 156 صفحة, وهو عبارة عن رواية ترسم عمق الروح الجزائرية وشخصيتها المنتمية, إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلاميتين.

---

[1]- مالك بن نبي, الظاهرة القرآنية, ترجمة:عبد الصبور شاهين, ط4, دار الفكر, دمشق,2000م, ص4.

[2]- موسى لحرش ، المرجع السابق، ص62.

[3]- مالك بن نبي, تأملات, المصدر السابق, ص4.

[4]- موسى لحرش، المرجع السابق، ص60.

[5]- مالك بن نبي , لبيك حج الفقراء, ترجمة: زيدان خويلف, ط1, دار الفكر, دمشق, 2009م, ص3.

-مذكرات شاهد للقرن :

الكتاب عدد صفحاته456 صفحة, يجمع بين مرحلتين من حياة المفكر, القسم الأول (الطفل:1905-1930م),والقسم الثاني (الطالب:1930-1939م),وجزء"الكهل" لم يطبع بعد.

- شروط النهضة:

الكتاب عدد صفحاته160 صفحة,يتناول الأزمنة: الماضي, الحاضر,المستقبل,التي تخضع لها الحركة التاريخية, وحول المعادلة الشهيرة الحضارة = إنسان + تراب + وقت[1], بالإضافة إلى الحركة الدينية التي تحرك هذه الثلاث[2].

2 . الصراع الفكري و الثقافي:

- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة:

الكتاب عدد صفحاته129 صفحة, يكشف فيه المفكر عن الصور المختلفة للصراع الدائم في عالم الأفكار، و يوضح ما كانت تصنعه الدوائر الاستعمارية من وراء الستار, تجاه البلاد المستعمرة والتبعية لها فكريا وثقافيا مع تخلفٍ اقتصادي[3].

- مشكلة الثقافة:

الكتاب عدد صفحاته129 صفحة , يوضح فيه ابن نبي أن تنظيم المجتمع وحياته وحركته, بل حتى الفوضى و الخمود والركود, كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار, المنتشرة في ذلك المجتمع , والتي تعبر عن ثقافته.

- القضايا الكبرى:

الكتاب عدد صفحاته224 صفحة, يتناول جملة القضايا المتعلقة بالثقافة, والحضارة والاستشراق و أهم رواده ، و دور المستشرقين في الترويج لأفكار الحضارة الغربية[4].

---

[1]- مالك بن نبي, شروط النهضة, المصدر السابق,ص45.

[2]- فوزية بوريون , مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة,ط1,دار الفكر,دمشق,2010م ، ص124.

[3]- موسى لحرش، المرجع السابق، ص54.

[4]- نفسه ،ص ص62, 63.

- فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ[1]:

الكتاب عدد صفحاته272 صفحة, وهو صدى لمؤتمر باندونغ 1955م, والذي يتناول كتلة الشعوب المستعمرة, و ظهور الثنائية القطبية[2].

- في مهب المعركة :

الكتاب عدد صفحاته176صفحة,يتضمن أربعة فصول:الاستعمار تحت المجهر، في وحل السياسة, في الحقل الاجتماعي، في حديقة الثقافة, حيث شرح الكتاب الفوضى الاستعمارية.

- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين:

الكتاب عدد صفحاته65صفحة, يبين كيف يتفاعل المسلم مع المؤشرات المتعلقة بأصول الحضارة الغربية, وقدم وصفة تطبيقية لدور المسلم في إنقاذ نفسه وحضارته والإنسانية.

- من أجل التغيير[3]:

الكتاب عدد صفحاته144صفحة, يتناول المسيرة الجزائرية, التي تضع معالم للتغير في هذا البلد, ومن ورائه المجتمع العربي, والعالم الإسلامي, في عملية البناء الاجتماعية.

- مجالس دمشق:

الكتاب عدد صفحاته192صفحة , ويتضمن ست محاضرات ألقاها الأستاذ مالك بن نبي في دمشق بين سنتي :1971-1972م,بدأها بباريس, ثم مصر , فالجزائر[4].

3 . في آفاق العالم الإسلامي:

- بين الرشاد والتيه:

الكتاب عدد صفحاته216 صفحة,وهو يعكس أحداث الستينات في الجزائر, وأيضا العالم الإسلامي والعربي, و مشاكل العالم الثالث بعد الاستقلال السياسي[5].

---

[1]- مالك بن نبي, فكرة الإفريقية الآسيوية, ترجمة: عبد الصبور شاهين, ط3, دار الفكر, دمشق 2001م, ص4.

[2]-نفسه ،ص34, ينظر أيضًا: فوزية بريون ، المرجع السابق, ص134.

[3]- مالك بن نبي, من أجل التغيير, ط1, دار الفكر, دمشق, 2005 م , ص4.

[4]- مالك بن نبي, مجالس دمشق, ط1, دار الفكر, دمشق, 2006 م, ص4.

[5]- مالك بن نبي, بين الرشاد والتيه,المصدر السابق،ص ص25-62.

- المسلم في عالم الاقتصاد[1]:

الكتاب عدد صفحاته112 صفحة , وهو يحتوي على واقع اقتصاديات العالم , والمناهج الاقتصادية, والمعوقات الثقافية والدينية بالنسبة للمسلمين ,و خطط التنمية.

- فكرة كمنويلث إسلامي :

الكتاب عدد صفحاته96 صفحة, وهو مشروع يمنح العالم الإسلامي موقعا ضمن خارطة العالم المعاصر, كتبه مالك بن نبي باللغة الفرنسية في نهاية الخمسينات ، ثم ترجم للعربية[2].

- وجهة العالم الإسلامي :

الكتاب عدد صفحاته200 صفحة,يحتوي على مراحل التاريخ ، ويقسم تاريخ المجتمع الإسلامي , إلى ثلاث مراحل,ويخص المرحلة الأخيرة بالعناية التي تمثل القابلية للاستعمار.

- وجهة العالم الإسلامي الجزء الثاني"المسألة اليهودية":

الكتاب عدد صفحاته162 صفحة,يدرس أثر الفكر اليهودي في بناء أوربا،و تشكل الظاهرة الاستعمارية,وصورة اليهود في العالم الغربي, واستطاعتهم لَمَّ شملهم, وهيمنتهم اليهودية[3].

- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث:

الكتاب عدد صفحاته50 صفحة,وفيه تحديد لمصطلح المستشرقين,و تصنيفهم حسب طبقاتٍ,ومن حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين, بين المدح والانتقاد والتشويه[4].

- آفاق جزائرية:

الكتاب مُكَّون من ثلاث محاضرات،يجمع بينها أنها ألقيت جميعها في الجزائر، وهذه المحاضرات هي: مشكلة الحضارة، ومشكلة الثقافة، مشكلة المفهومية[5].

---

[1]- مالك بن نبي, المسلم في عالم الاقتصاد, ط3, دار الفكر, دمشق, 2000 م, ص4.

[2]- مالك بن نبي: فكرة كمنويلث إسلامي, تر:الطيب برغوث, ط1, دار الفكر, دمشق 2000م,ص4.

[3]- مالك بن نبي, وجهة العالم الإسلامي ,ج2 المسألة اليهودية, ط1, دار الفكر, دمشق, 2012 م, ص8.

[4]- مالك بن نبي, إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث, ط1, دار الرشاد, بيروت, 1969 م, ص ص5-9.

[5]- حسن موسى محمد العقبي,المرجع السابق,ص37.

- العفن:

الكتاب عدد صفحاته 204 صفحة,الجزء الأول(1940-1932م), يلخص فيه الأستاذ مالك بن نبي نشأته وبداية نضاله ومسيرته, وعلاقته بأطراف عديدة، وسبب تدهورها والمرارة التي عاشها[1].

المبحث الثاني . مالك بن نبي في ميزان الدارسين:

1 . عمار طالبي:

لقد كان الأستاذ عمار طالبي, من أقرب الناس للرجل, تعرّف على مفكر العصر, واستمر تواصلهما لمدة خمس عشرة سنة، إلى أن زاره في بيته ,وأغمض عينيه عندما توفي، وأبّنه في مقبرة سيدي امحمد, يقول طالبي:(أبهرني فكر مالك بن نبي من أول لقاء، حيث وجدته يناقش علميا حديث "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف"، كنت استمع للرجل, دون أن أخوض في الكلام, و كان إجماع كبار دكاترة العالم العربي, على أنه عبقري وسابق لعصره ، كان يحلل المشكلات تحليلا علميا ...على منهجه الخاص)[2].

2 . عبد العزيز برغوث:

يقول عبد العزيز برغوث متحدثا عن فكر الأستاذ مالك بن نبي:(فكر عميق ، وفكر مؤسس على رؤية حضارية عميقة، ومؤسس على أسس سننية، أي أن فكر مالك بن نبي ومنهجه "سنني", يتعلم منه الإنسان الرؤية الحضارية، والنظرة المتكاملة المتوازنة)[3].

---

[1]- مالك بن نبي,العفن مذكرات الجزء الأول(1940-1932م), ترجمة: نور الدين خندودي, ط1, دار الأمة, الجزائر 2007 م, ص4, ينظرأيضا: معمر حبار , كتابات في الميزان , مالك بن نبي من خلال كتابه العفن موقع : www.kitabat.info/subject.php?id= 44465,تاريخ التصفح 09-04-2016م.

[2]- عبد الناصر, "الدكتور عمار طالبي يتحدث عن صداقته...",المرجع السابق.

[3]- عبد العزيز برغوث , "مالك بن نبي هو ابن خلدون العصر الحديث", حوارات ,موقع: حوارات/www.binnabi.net/rubrique/detail/102OokY12Ov5KkI5 , تاريخ التصفح 10-04-2016م.

3 . محمود محمد شاكر[1]:

يقول محمود محمد شاكر في تقديمه لكتاب "في مهب المعركة":(لعلي لا أبالغ إذا قلت: إن هذه المجموعة من مقالات أخي الأستاذ مالك بن نبي، هي عندي من أنفس ما كتب لا لأنها تتناول موضوعا لا نزال نعيشه وعاش فيه من قبل آباؤنا...,بل هي أنفس شيء عندي لأنها تكشف لنا عن فكر رجل خبير، فكَّر في الأمور ساعة بعد ساعة ، وقيد هذا الفكر في حينه فإذا نحن نرى أنفسنا في ضوء ما كتب قديماً، كأننا لم نتقدم خطوة في فهم البلاء الذي ينزل بنا ولا يزال ينزل..., فهذا المفكر الخبير...)[2].

4 . محمد المبارك[3]:

يقول محمد المبارك, في مقدمة كتاب "وجهة العالم الإسلامي" لمالك بن نبي:(إن طريقة المؤلف في كتابه...تحليل عميق...ثقافة قوية,واطلاع واسع,...ويقف بنا أمام تحليل رائع لواقعنا ولحركاتنا الحديثة...,أنا لا أقول إنه"ابن نبي", ولكني أقول: أنه ينهل من نفحات النبوة وينابيع الحقيقة الخالدة)[4].

5 . عبد العزيز الخالدي:

يقول عبد العزيز الخالدي عن مالك بن نبي في تقديم كتاب "شروط النهضة": (أجد بين يدي سيرة عاصفة مؤثرة ,...وطريقته الجديدة...على تفسير القرآن,...دقة النقد , وعمق التحليل , وصرامة المنطق..., فأبدي له تقديري الشخصي, كأخ لي , وكأستاذ)[5].

---

[1]- محمود شاكر: ولد يوم10-01-1327هـ(1910م) , في مدينة الإسكندرية , أديب و مثقف من طراز فريد, في الأدب والثقافة العربية الحديثة ، وهو قمة من قمم العربية ، وعلم من أعلامها ، توفي يوم الخميس 03-04-1418هـ(1997م) ينظرموقع : www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=113106 , تاريخ التصفح 09-04-2016م.

[2]- مالك بن نبي ,في مهب المعركة, المصدر السابق,ص11.

[3]- محمد المبارك : ولد في مدينة في دمشق,عام 1912م, وتوفى في المدينة المنورة عام1981م، عمل عميدًا لكلية عبد العزيز,له العديد من المؤلفات,منها: كتاب نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، ونظام الإسلام السياسي ، وكتاب العقيدة في القرآن الكريم,ينظر:حسن موسى محمد العقبي,المرجع السابق,ص ص40, 41.

[4]- مالك بن نبي , وجهة العالم الإسلامي,المصدر السابق,ص14.

[5]- مالك بن نبي , شروط النهضة, المصدر السابق,ص ص7-11.

6 . مصطفى السباعي:

يقول مصطفى السباعي:(الأستاذ مالك جزائري الأصل، مجاهد في سبيل القضية الجزائرية بقلمه ولسانه ، جهاداً يعرف له فضله فيه زعماء حركة التحرير الجزائرية منذ نشوئها...، ويتميز الأستاذ مالك بن نبي في جميع مؤلفاته بعمق التفكير, ومنطقيته وواقعيته وقوة أسلوبه في الدفاع عن الأفكار التي يتبناها...)[1].

7 . أنور الجندي:

يقول أنور الجندي:(مِثْلُ مالك بن نبي بين مفكري العالم الإسلامي قليل, فهو الرجل الذي ورد مورد الغرب وجاءنا منه نقياً صافيا، وقد حفظ الله له أصالته, وأفاد مما وجد نصاعة فكر وبعد نظر، وعمق فهم، وقدرة على كشف تلك التحديات والشبهات...)[2].

8 . محمد العبدة:

يقول محمد العبدة :(إذا عُدَّ المفكرون من المسلمين في هذا العصر, فإن مالك بن نبي هو من هذه القلة الذين ينطبق عليهم هذا الوصف ...)[3].

9 . معمر حبار:

يقول معمر حبار:(بما أني قرأت كل كتب بن نبي قراءة الناقد, وليس قراءة التلميذ التابع أقول:...ابن نبي صاحب فكر عالمي يتعدى الدولة، ولذلك اعتمد على أفكار عالمية, وسعى لأن يستفيد منها ويعطيها الصبغة المحلية، معتمدا على ثقافته الإسلامية،...)[4].

10. محمد بغداد باي:

يقول محمد بغداد باي:(فكر مالك بن نبي فكر فذّ وأصيل، ملتزم وخبير بخبايا الأمور فكر لم يتنكّر للذّات ، وفي نفس الوقت لم ينجرف وراء المدح العقيم,...)[1].

---

[1]- حسن موسى محمد العقبي, المرجع السابق, ص41.

[2]- نفسه, ص42.

[3]- عبد الله بن خميس, "قراءة في فكر مالك بن نبي محمد العبدة" , موقع :
www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=23959,تاريخ التصفح09-04-2016م,ينظرأيضا: محمد العبدة المرجع السابق,ص ص5-8.

[4]- معمر حبار, "مالك بن نبي المفكر الحر المستقل" , موقع :
www.elhiwardz.com/?author=101024, تاريخ التصفح 09-04-2016 م.

11. زكي الميلاد:

يقول زكي الميلاد:(لا يمكن الحديث عن الثقافة في المجال العربي، وعلى مستوى الفكر الإسلامي، من دون التطرق والاقتراب من مالك بن نبي...)[2].

12. عمر كامل مسقاوي:

يقول عمر كامل مسقاوي:(التعرف على فكر مالك بن نبي..., من خلال كتاباته الغنية واللامعة..., أتاحت لي أن أقف على عمق رؤية هذ المفكر الإسلامي الفذ)[3].

13. نورة خالد السعد:

تقول نورة خالد السعد :(تظل أطروحات المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي مواداً أولية لكثير من المفكرين الإسلاميين المعاصرين، ورغم أن أغلب أفكاره ورؤاه حول مسائل الحضارة والتغيير الاجتماعي قد تم تناولها من قبل الباحثين...)[4].

14. عبد السلام الهراس:

يقول عبد السلام الهراس عن ابن نبي: (لأول مرة أرى في حياتي, رجلا عنده فكر جديد وجدير بالإنصات والكتابة,ومالك له تأشيرة الدخول, إلى قلوب الناس,وعقولهم...)[5].

15. عبدالله العقيل:

يقول عبدالله العقيل عن مالك:(تتابعت قراءاتي لما صدر بعد ذلك, من كتبه المترجمة إلى العربية التي وجدتُ فيها, نظرة تستوعب مشكلات الحضارة ,وحل معضلات العصر...)[1].

---

[1]- محمد بغداد باي , "الذين أوهموا الناس بأنهم عاصروا مالك بن نبي شوهّوا رسالته" , موقع:
www.elkhabar.com/press/article/60835,تاريخ التصفح10-04-2016م.

[2]- زكي الميلاد, "مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي النظرية، والمنهج ,والتطور", موقع :
www.binnabi.net/infos/detail/9FDiY23I5pY12Ov/مشكلة_الثقافة_عند_مالك_بن_نبي__النظرية،_والمنهج،_والتطور
تاريخ التصفح 10-04-2016م.

[3]- عمر مسقاوي, في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء الجديد,ج1, ط1, دار الفكر, دمشق 2013م,ص ص19-23, ينظر أيضا: نور الدين مسعودان, مالك بن نبي لقلم معاصريه , دار النون , الجزائر, ص3.

[4]- نوره خالد السعد, "مالك بن نبي تجاوز ابن خلدون",موقع:
www.binnabi.net/infos/detail/9FDiY1Yo785KkI5/نوره_خالد_السعد : مالك_بن_نبي_تجاوز_ابن_خلدون
تاريخ التصفح 10-04-2016 م, ينظرأيضا:نورالدين مسعودان , المرجع السابق,ص ص18-26.

[5]- محمد البنعيادي,مالك بن نبي في ذاكرة عبد السلام الهراس, ط2, دار الشاطبية الجزائر,2012م,ص ص21, 36.

16. الطاهر سعود:

يقول الطاهر سعود: (في مرحلة الدراسة والتحصيل العلمي, كان لي برنامج مكثف في المطالعة,مررت فيه على العديد من المفكرين الإسلاميين,والمعاصرين منهم بالذات, وحينما وصلت إلى مالك بن نبي, وجدت أنني أمام مفكر مختلف, لا يكاد يشبه أحدا في خطابه ومنهجه ومصطلحاته, ومعادلاته , من المفكرين الذين مررت عليهم من قبل , كما وجدته مفكرا لا يكرر نفسه في الآخرين, بالطريقة التي نلاحظها بين غيره من المفكرين, وهو من أبرز المفكرين الإسلاميين ارتباطا واشتغالا بفكرة الحضارة)[2].

17. أبو القاسم سعد الله:

أختم أقوال الدارسين لفكر ابن نبي , بشيخ المؤرخين أبي القاسم سعد الله–رحمه الله– إذ يقول:(يمثل مالك مدرسة فكرية مستقلة بين المدارس الفكرية, التي عرفتها الجزائر منذ الحرب العالمية الأولى, فلا هو من تيار المدرسة الاستعمارية التي نشأ فيها أمثاله وأخذوا علمها ولغتها أي أولئك النخبة الاندماجية,أو النخبة الإسلامية التي رضيت بالوظيف بعد التخرج, واكتفت بما تطعمها به الإدارة الفرنسية,ولا هو من تيار المدرسة السياسية التي أنشأها الأمير خالد, ثم نجم الشمال الإفريقي ثم حزب الشعب,إذ كان ابن نبي كثيرالانتقاد لهذه المدرسة,ولا سيما أثناء زعامة مصالي الحاج لها,ولا من التيار الذي تبناه ابن جلول وفرحات عباس لأنهم في نظره منحرفين, فكان كثير النقد لهم, ورغم كونه يحس أنه من تلاميذ مدرسة ابن باديس, كان بعيدا عنهم لضيق مجالهم وتخليهم في نظره عن دورهم ولسذاجتهم,فكان كثير النقد لهم, فهو مستقل الفكر ويمثل مدرسة على حدة)[3].

اكتفيت بهذا القدر من أقوال وآراء الدارسين عن مالك بن نبي, ولا يخلو إنسان من انتقاد إذ حسنات الرجل تغوص فيها زلاته وأخطاؤه, وللمزيد من آراء الدارسين ينظر موقع الأستاذ مالك بن نبي عبر الانترنت: www.binnabi.net, وبعض الكتب الأخرى.

---

[1]- عبد الله العقيل , من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة , ج2 , ط8 , دار البشير, الرياض , 2008 م ص ص713, 714.

[2]- الطاهر سعود, التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي, ط1, دار الهادي, بيروت, 2006م, ص6.

[3]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7،المرجع السابق,ص211.

. خلاصة:

وفي خاتمة هذا الاستعراض لأعمال مالك بن نبي وآراء بعض المفكرين,والدارسين على تنوع مواقعهم ومشاربهم الإيديولوجية, نلمس ذلك الإجماع حول عظمة الرجل, وأنه شخصية عالمية تعدت العرب والمسلمين,وأنه أحد أعمدة الإسلام, فمفاتيح فكر مالك لا تزال تملك قدرة توليدية في مجال المفاهيم والحضارة , بكل امتداداتها وتنوعاتها,وهو سابق لعصره.

وإن العينات التي أوردناها, تمثل قسما محدودا من الكم الهائل من الآراء والكتابات, التي تصدت لهذا الرجل الموسوعي بالتحليل والتمحيص.

خـــاتـمـة

. خاتمة:

لقد توصلت في نهاية هذه المحاولة العلمية المتواضعة,بالغوص في حياة مالك بن نبي وإسهاماته الفكرية, وآرائه في تحديد القضايا التي تهم مجتمعه الضيق(الجزائر),وأمته المترامية(العالم الإسلامي),إلى رصد جملة من الاستنتاجات أسوقها على النحو الآتي:

أولاً: أن القارئ لمالك بن نبي يكتشف أنه كان يتمتع بفكر راقٍ وثقافة واسعة, ومنهج علمي دقيق في تفسير المفاهيم والظواهر, ذلك الفكر الرياضي مصلٌ واقٍ ضد مرض الثرثرة إذ اتسم فكره بالحيوية والفعالية تغلب عليه الصور العقلية، لا الصور اللفظية فيما يتكلم وفيما يكتب، وبه ظل يجاهد وينصح إلى أن وافته المنية, ومالك بن نبي لم يكن يحسن الكتابة باللغة العربية, نظرا للظروف الاستعمارية التي عاشها في الجزائر, وهذا ما جعله يتعلم اللغة الفرنسية ويكتب بها، وكان أمينا و منهجيا من الناحية العلمية, وتمكن بمجهود جبار من تعلم اللغة العربية و الكتابة بها فيما بعد.

ثانيًا:أنَّ مالكا اهتم بمشكلات الحضارة، النهضة ، الثقافة، الاستعمار والقابلية له, الاقتصاد فدرسها بكل أبعادها في كل مؤلَّفاته وأبدع فيها، وطوَّر بعض مفاهيمها, مركزا على عاملي الإنسان والدين لاستنهاض همم الشباب العربي, ومن خلال أفكاره تبرز نزعته الوطنية الإسلامية, ومعاناة الشعب الجزائري في الفترة الاستعمارية, و تميز مالك بن نبي عن غيره من المفكرين الإسلاميين المعاصرين بشمولية أفكاره , حيث يستفيد منها العالم الإسلامي و الغربي في نفس الوقت، قد أثبتت فاعليتها في بعض الدول التي تبنت أفكاره, وجعلتها علاج لدائها مثل دولة ماليزيا, التي عرفت كيف تعالج مشاكلها باعتمادها على عبقريته, فما على الدول العربية اليوم سوى الاستفادة من التجربة الماليزية, في تجاوز المشاكل المعاصرة والخروج من الأزمة الحضارية.

ثالثًا: في حين وجد مالك بن نبي قبولا لدى كثير من الشعوب, وجد تهميشا نوعا ما مع بني عصره من بني جلدته وقومه , وهكذا شأن الأنبياء والصالحين , فعلاقتنا نحن به اليوم يجب أن تكون علاقة التّلميذ بأستاذه, يستفيد منه للقيام بدوره, لا موقف الزبون, وعلينا تصحيح علاقتنا بالغرب مقارنة مع الشعب الياباني، فنحن نمثل دور الزبون تجاه الغرب بينما اليابان يمثل دور التلميذ، ولذلك تقدم اليابان وتقهقرنا.

رابعًا: يتوجب علينا إعادة بناء شبكة العلاقات الاجتماعية على أساس إسلامي, لأن ما حدث في الثورة ومؤتمر الصومام وقبيل نيل الاستقلال, من اغتيالات وتصفيات وتنافس على الزعامة يحز في النفس, بل تعدت هذه السياسة إلى ما بعد الاستقلال, ولعلها إلى اليوم.

خامسا: لابد من تقديم الواجب وروح المسؤولية عن الحق, لا كما يفعل في منابر الخطابات والانتخابات, فعلينا أن نتقدم إلى عالمية الإسلام , لا أن نبقى جامدين نبكي على الأطلال وننصب الوثن في شخص أو حزب, وعلينا التفاؤل ولا نقضِ على العزائم, فالمسلم يمتلك قدرات لا يمتلكها غيره , فهو قادر على التحضر من غيره, وليس قابلا للاستعمار, بل هو عزيز.

سادسًا: إذا افتخر الغرب برصيد حضارتهم التاريخي, فالمسلمون كانت لديهم الحضارة في الوقت الذي مرت به أوربا عصر الظلمات بعد سقوط روما, وانتشار الفساد.

سابعًا: أن المسلمين اليوم في تقهقر وتأخر, للهوة بين الحاكم والمحكوم, واختلاف الثقافة بينهما فلابد من الرجوع للثقافة الإسلامية , والوعي بمتطلبات الأمة المرتبطة بخصوصيتهما وإدراك طبيعة المحيط الدولي, وأهم حاجيات الإنسانية غير المتوفرة في هذا المحيط, لا كما يحدث من أمور السياسة التي لا تخدم الوطن في عقد الشراكات, وجلب مشاريع الاستثمار وإنما تخدم المستعمر على حسابنا, بل أكد ابن نبي أن الحضارة لا تستورد, وخير دليل اليابان وألمانيا, وماليزيا التي اعتمدت على أفكاره في صناعة حضارتها.

ثامنًا: لابد لنهضتنا من الرجوع إلى العقيدة الإسلامية, لتحقيق الفاعلية الاجتماعية من خلال ما يسميه ابن نبي"علم تجديد الصلة بالله" وتوظيفه, ومعرفة أنفسنا ومعرفة غيرنا فإمكانية تحقيق تحالف إسلامي(كمنولث,أو إتحاد) على الأقل مع الدول المجاورة, على غرار إتحاد إمريكا وأوربا, فلقد استفاد الغرب من أفكار ابن نبي في فهمنا وتفريقنا, مع بقائنا لا نحرك ساكنا.

تاسعًا: تمتلك الأمة الإسلامية قدرات وطاقات حيوية فعالة، تحتاج فقط إلى تفعيل ، لقد بين لنا الربيع العربي مدى قوة الطاقة الحيوية المختزنة في التغيير والثورة، إذ كان يعتقد أن الإنسان العربي سلبته الأنظمة العربية المستبدة وعيه وعقله, بيد أن الصعوبات فجرت الطاقات وحررت الوعي من الخوف والقهر، فثار المسلم وهو يرنو إلى مجتمع مدني جديد رافضا كل أشكال الخضوع والخنوع, ولعله هو ما قصده ابن نبي في مقدمة كتابه وجهة العالم الإسلامي"المسألة اليهودية", بقوله:(ربما الأوفى أن أخص بالصفحات القادمة جيلا سيأتي يعقب

جيلي...أن عليهم واجب بناء عالم خاص بهم),فدرس وبحث ابن نبي الاستعمار لا كجيش, وإنما كظاهرة تتخطى حدود الدول, لتخضع الشعوب النائمة الفاقدة للحصانة فالاستعمار يراقب الوضع السياسي في العالم, ويرصده في كل لحظة.

عاشرًا: يجب توظيف المعرفة العلمية والأفكار كأداة للنهوض, من خلال إبداع حلول ناجعة تتوافق مع خصوصيات المجتمع والمعاصرة,لا كما نفعله من ممارسات التأخر, مع ما عندنا من وسائل التحضر, لأنّ أزمتنا لا تكمن فيما نفتقده من أشياء , وإنّما فيما ينقصنا من أفكار ,أو فيما يخص تجسيدها, و مشكلتنا نحن المسلمون ليست في غياب الحرية, وإنما الحرية المنتجة، التي تجعل من الفاعلية غايتها ومقصدها(وقل اعملوا...).

وفي الأخير أوصي: بأن مالك بن نبي كانت له آراء وأفكار حضارية ، حبذا لو درست على الجزائر، ومدى تطبيقها على أرض الواقع, في بحث بعنوان " الجزائر في فكر مالك بن نبي بين النظرية والتطبيق".

ملاحق

. مقدمة: بقلم المفكر الجزائري مالك بن نبي مدير التعليم العالي بالجزائر[1]:

«عرفت مؤلف هذا الكتاب إبان دراسته في جامعة القاهرة، وكنت أعتبره في جملة أصدقائي, ومستمعي من بين طلاب البلدان الإسلامية المختلفة, الذين يزورون الندوة, التي تعقد في منزلي يوم الجمعة من كل أسبوع.

فحين أقدم هنا لدراسة عن ابن باديس أشعر بلذة مزدوجة.

فما كان أشد إغراء مثل هذا الموضوع , في بلد ما يزال من شاهد حياة الشيخ وأثره كثيرا عددهم، ولكن ما أصعبه من موضوع, إذ الحقيقة أنه لا يمكن أن يخلو حكم معاصر على أحداث عهده, ورجاله, من نظرة ذاتية إلا نادرا.

وأنا نفسي أشعر بشئ من الحرج, حين أقدم كتابا, يحوي –بالضرورة– أفكارا, وأحداثا كنت نصيرا لها أو معارضا.

غير أن شخصية الشيخ تجمع في طياتها, جوانب بلغت من التنوع والغنى مبلغا , يجعل في قدرة الباحث – دوما–, أن يتطرق إلى دراستها من زاوية, تحرر الفكر من الظروف العرضية النسبية.

لقد كان ابن باديس مناظرا مفحما، ومربيا بناء، ومؤمنا متحمسا، وصوفيا والها، ومجتهدا يرجع إلى أصول الإيمان المذهبية ، ويفكر في التوفيق بين هذه الأصول , توفيقا عزب عن الأنظار, إبان العصور الأخيرة للتفكير الإسلامي.

وهو كذلك وطني مؤمن تصدى عام 1936, لزعيم سياسي نشر مقالا عنوانه: "أنا فرنسا" فرد عليه ردا حاميا قويا.

وعندما انفجرت حوادث قسنطينة الدامية, في شهر آب من سنة 1934, وحاولت الإدارة أن تعيد الهدوء والاستقرار, كان نصيرا لها، ولكنه لم يقبل هجوما على الإسلام, قام به يهودي, منتهكا حرمة مسجد.

والشعور الوطني المتدفق يغدو لديه فيضا شعريا , عندما ينظم قصائده , التي قدر لها أن تعيد إلى الشعب الجزائري, أبعاده الحقيقة في التاريخ الإسلامي، في فترة كان أطفال الجزائر يدرسون ويعلمون تاريخ "أجدادنا الغاليين"...».

---

[1]- عمارطالبي, آثار ابن باديس, مج1, ج1, ط3, الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود, الجزائر,1997م ص ص:9-14.

16 الاثنين 23 - 29 ذو الحجة 1434 هـ /28 أكتوبر 03 نوفمبر 2013 العدد: 676
مقاربات
البصائر

مالـــــك بن نبـــــي .. راهـــــب الفكـــر*

أ.د/ مولود عويمر *

تتناول هذه الدراسة جوانب مهملة من حياة مالك بن نبي، وتكشف صفحات من تراثه المجهول الذي يؤكد على نبوغ هذا المفكر الجزائري الذي ترك بصمات واضحة في الفكر المعاصر حينما جدد الرؤية لقضايا الفكر والمعرفة، وحدد مصير الإنسان المعاصر الذي تتجاذبه هموم متصلة بماضيه، وتحديات مرتبطة بحاضره، وآفاق ممتدة في مستقبله.

إن فكر مالك بن نبي يتجدد كلما تواصلنا معه لنكتشف هاجسه الأكبر في تحليل مشكلة الإنسان وصلته بالحضارة من خلال تراثه الذي يزداد ثراء حتى يخيّل إلى قارئه أن حبر قلم هذا الرجل الذي مات منذ أربعين سنة لم يجف بعد نظرا لاكتشاف مستمر لكتبه ومقالاته ومحاضراته المجهولة التي قيّض الله لها من يجمعها ويترجمها وينشرها بأمانة بين الناس.

ولذلك أقول أن مالك بن نبي ولد ليفكر، ويعيش للفكرة، ويموت مفكرا، ويخلد في ذاكرة عالم الأفكار. وسأحاول في هذه السطور أن أشرح هذه المعاني بشكل مختصر.

مالك بن نبي ولد ليفكر

ظهرت علامات النبوغ مبكرا عند مالك بن نبي. وانكشف اهتمامه بقضايا الفكر والإنسان ومشكلات الحضارة وهو مازال لم يبلغ الحلم. وكان صاحب نظرة ثاقبة ونباهة يدرك ببصره ما لا تنتبه له أبصار غيره، ويفقه ما حوله بينما غيره في غفلة ساهون.

كما كان يستفيد من كل ما وقع عليه نظره أو سمعته أذناه ليتحوّل إلى موضوع تأمل وتدبر. وهناك أمثلة كثيرة في هذا الموضوع أكتفي هنا بالإشارة إلى المثال التالي الذي يؤكد ذلك ويدعمه.

حاول مالك بن نبي مع مجموعة من أصدقائه في باريس الإجابة عن السؤال التالي: «ما هو أهم حدث في حياتك ولمن تنسبه؟» خلال جلسة اعترافات على الطريقة الأمريكية.

وكان جواب بن نبي بسيطا في مظهره لكنه عميق في جوهره. إنها قصته مع قطعة الرفيس، وهي حلوى تبسية تصنع من الطحين والسكر والتمر والزيت. كان يتناولها على عادته كل يوم الجمعة بفضل عمل والدته المضاعف والشاق. فإذا بفقير يقف عند عتب دارهم ليطلب صدقة. ورغم فقر بن نبي وحبه الشديد لهذه الحلوى فإنه آثر المسكين على نفسه بسبب تذكره لحكاية سمعها من جدته تناولت قيمة الإحسان وثواب المحسنين. فهذا السلوك الإنساني الراقي لا ينبع دائما من طفل لم يبلغ عمره إلا 6 سنوات

واستحضر هنا مشهدا شاهدته على قناة تلفزيونية فرنسية يمثل أما رواندية أم صومالية - لا أتذكر الآن- نزعت لقمة خبز من فم صبيها لتأكلها وتتركه جائعا يبكي. إن الجوع والفقر والبؤس لا ينتصرون على البطون الخاوية إلا إذا كانت العقول بالية أيضا !

مالك بن نبي عاش للفكرة

لم يعش مالك بن نبي لذاته وإنما عاش للفكرة وذاب في معانيها. وهكذا لم يتحدث عن نفسه في مذكراته وإنما فضل أن يخاطب قارءه من وراء الحجاب. ولم يتحدث عن الأنا.

وكانت من أهم الأفكار التي شغلت اهتماماته وخصص لها عمره كله الفاعلية والنهضة والحضارة. فلا تجد كتابا أو مقالا أو محاضرة له لم يعالج فيها دور فعالية الإنسان المسلم في تأسيس النهضة والإسهام في البناء الحضاري.

وأؤكد هنا ما قلته في كتابي « مالك بن نبي رجل الحضارة» الصادر في عام 2007: «لقد عاش المفكر مالك بن نبي للفكرة ولم يعش لذاته. تلك الفكرة التي اكتملت معانيها بموته. حينما أطعمها من روحه لتبقى حية. إنها الفكرة الحية التي تعبّر عن هاجس الفعالية في زمن تخلّف فيه المسلمون. وتقدّم فيه غيرُهم: وترسم لهم معالم النهوض الحضاري الذي نأمل أن يتحقّق في المستقبل القريب.»

مالك بن نبي مات مفكرا

لقد عمل مالك بن نبي في الإدارة كعادل لدى محكمة أفلو في عام 1927 ثم انتقل إلى محكمة شلغوم العيد غير أنه سرعان ما استقال حتى لا يشارك في قهر إخوانه ومضاعفة بؤسهم وحرمانهم من حقوقهم المشروعة التي يبخسها قانون الأنديجينا.

كما مارس التجارة في عام 1929 فلم يجني منها إلا الخسارة والإفلاس. وحاول أن يكون كذلك مقاولا في تبسة لكنه لم ينجح في ميدان سيطر عليه أرباب العمل الفرنسيين. واستحوذوا فيه على كل مشاريع البناء في المستعمرة.

كما أنه لم يتمكن من الالتحاق بمدرسة الدراسات الشرقية لدراسة الحقوق. لأن الانتساب إلى هذا المعهد الشهير يخضع لشروط سياسية حينما يتقدم إليه الطلبة من المستعمرات. واعتبر مالك بن نبي هذا الإقصاء حرمه من حقه في أن يصبح محاميا للدفاع عن المظلومين الذين شاهدهم بعينيه في محكمة أفلو ومحكمة شلغوم العيد وفي كل القطر الجزائري.

وهكذا يجد نفسه مضطرا لدراسة الكهرباء في معهد اللاسلكي الذي يتخرج في عام 1936 بشهادة المهندس التي لم تسلم له رغم تفوقه ونجاحه العلمي. ويتيقن في قرارة نفسه أن مستقبله المهني ليس في فرنسا أو الجزائر المستعمرة وأنه يتعين عليه أن يبحث عن فرصة عمل في إحدى الدول العربية والإسلامية. وهكذا راسل قنصليات المملكة العربية السعودية ومصر واندونيسيا وأفغانستان للعمل فيها كمهندس يهتم بتطوير الطاقة الشمسية بينما تهتم زوجته الفرنسية بتعليم الخياطة للنساء لكنه لم يوفق. فقرر السفر إلى ألبانيا لعله يجد فيها عملا في تخصصه لكنه وجد البلاد في ظروف اقتصادية واجتماعية سيئة فعاد خائبا إلى فرنسا. وقد بلغ به اليأس أن تمنى في طريق عودته انحراف القطار عن مساره ليموت هو ومن معه.

واشتغل بن نبي مدرسا في مركز ثقافي للمهاجرين بمرسيليا (1938) يهتم بمحو الأمية. وسرعان ما أغلقته السلطة الاستعمارية بذريعة عدم امتلاك بن نبي للرخصة بينما يمثل هذا القرار التعسفي معاقبة له على مواقفه السياسية وتوعيته المستمرة للمهاجرين وعدم الاكتفاء ببرنامج تعليم الحروف والكلمات لأبناء وطنه المتعطشين لدراسة كل ما له علاقة بتاريخهم وهويتهم وتحرير نفوسهم وتبصير عقولهم.

كما كتب رواية «لبيك» ومسرحية «المدير الساذج» التي عرضت في افتتاح مؤتمر حزب لجم شمال إفريقيا. وكان إذن بإمكانه أن يصبح روائيا أو شاعرا لكنه مال إلى الفكر الذي يتماشى مع ذوقه وطبعه واهتمامه. لقد كان فشل بن نبي في التجارة والإدارة والبحث عن العمل في مجال تخصصه العلمي نقمة عليه بينما كان ذلك نعمة على الفكر. فتفرغ بن نبي للكتابة والعمل الفكري إلا أن لقي ربه وهو مفكر مرموق.

وإذا كان الفشل يثبط عزائم البسطاء والضعفاء فإنه يحفز العظماء على خوض المعركة في ميادين أخرى لتحقيق طموحات جديدة. ذلك ما فعله الملهم الأكبر لمالك بن نبي، العلامة عبد الرحمان بن خلدون (1332-1406) الذي هجر السياسة بعد أن فشل فيها فاعتكف 4 سنوات في قلعة بني سلامة بناحية فرندة وألف في مغارته رائعته الخالدة «المقدمة». كذلك تفرغ بن نبي للكتابة فألف روائعه: شروط النهضة، مشكلة الثقافة، ميلاد مجتمع ...الخ.

وكلما قرأت حياة مالك بن نبي تذكرت دائما المفكرين الألمانيين كارل ماركس(-1818 1883) ونوربير إلياس (-1897 1990) رغم لشبه بينهم. فماركس اعتكف على البحث والكتابة بفضل المساعدة المالية التي كان يقدمها له باستمرار صديقه الثري فريدريك أنجلز (1895-1820).

كما تفرغ إلياس لتأليف كتابه الضخم «حضارة العرف» بفضل المنحة التي كان يعطيها له المؤتمر العالمي اليهودي رغم حاجته إلى المال لمساعدة اللاجئين اليهود الهاربين من أوربا الشرقية إلى إنجلترا أثناء الحرب العالمية الثانية.

كذلك تفرغ مالك بن نبي للكتابة بعد فشله في البحث عن العمل بفضل المساعدة المالية التي تقدمها له جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وصديقه صالح بن الساعي ومنظمة المؤتمر الإسلامي فيما بعد وغيرهم من الأصدقاء الأخلاء والتلامذة الأوفياء الذين يقدرون علمه.

ولقد انتبهت الدول المتقدمة إلى هذه المسألة فوفرت كل الشروط المادية والمعنوية لعلمائها ومفكريها المتميزين ليعتكفوا في مخابرهم أو مكاتبهم للبحث والكتابة والإبداع في أعمالهم. وهنا أتساءل مع نفسي: هل كان بالإمكان للباحث الفرنسي وعالم الاجتماع ادغار موران أن يبدع ويؤلف كتبا ضخمة يؤسس من خلالها نظريته حول فلسفة المركب أو التعقيد لو لم يكن باحثا متفرغا في المركز الوطني للبحث العلمي؟ بالطبع الجواب هو لا.

مالك بن نبـــي خالـــد في ذاكرة عالـــم الأفكار

لا يخلد العالم أو المثقف إلا بما خطته يداه فينتفع به الناس أو بما تركه من تلامذة مخلصين يحيون ذكره أو كسبه من باحثين صادقين يروّجون فكره. أو إقناع مؤسسات بصلاحية تصوراته وأهمية وزاه وقيمة نظرياته فتجسدها على أرض الواقع وفي حياة الناس.

فمالك بن نبي خلد نفسه في ذاكرة عالم الفكر بكتاباته وأفكاره التي تكتسح باستمرار ميادين العلم والمعرفة خاصة بعد أن ترجمت العديد منها إلى اللغات الأجنبية. ودخل اسمه عالم الخلود بالدراسات المنجزة حول حياته وفكره في رحاب الجامعات الجزائرية والعالمية.

وأتذكر أنني قرأت في سنة 1998 تقديم الأستاذ عمر كامل مسقاوي لكتاب بن نبي المعنون بـ «من أجل التغيير» قال فيه أنه أنجز مهمته التي كلفه بها بن نبي بعد أن نشر هذا الكتاب الأخير. واستحضرت في قرارة نفسي الآية الكريمة: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا». وهي التي ختم بها الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم. وحزن يومها الصحابة لأنهم عرفوا أن الوحي قد اكتمل.

غير أنني لم أكن مقتنعا بما كتبه الأستاذ مسقاوي ذلك لأنني أعلم أن بن نبي كان متفرغا للكتابة والعمل الفكري خلال ثلاثين سنة. ولا شك أن تراثه يتجاوز هذا العدد من كتبه المنشورة التي لم تبلغ آنذاك 20 كتابا. وصدق حدسي. فبعد سنوات قليلة نشر تلامذة مالك بن نبي وخاصة الأستاذ عبد الرحمان بن عمارة والأستاذ نور الدين بوقروح نصوصا مجهولة من تراث بن نبي. وصرح تلامذة آخرون كالأستاذ صادق سلام والدكتور خالص جلبي أنهم يملكون وثائق عن هذا المفكر وأنهم عازمون على نشره في الوقت المناسب.

ومن دراساته النادرة أو المفقودة دراسة حول الإسلام واليابان كتبها في سنة 1940 وسلمها للسفارة اليابانية في باريس في إطار مسابقة دولية نظمتها حول موضوع « الحضارة اليابانية». ولا ندري ما هو مصيرها. (مولاي، ص 68). كما روى لي الدكتور عبد السلام الهراس في عام 2003 أنه تسلم من يد مالك بن نبي مخطوطا عن المسألة اليهودية. ونظرا لخوفه من أن يقع في أيدي غيره دفنه في منطقة صحراوية ولم يستطع أن يعثر عليه فيما بعد لأنه نسي المكان الذي وضعه فيه.

وبقي الكتاب سنوات مفقودا رغم صيته إلا أن نشر مؤخرا في الجزائر كجزء ثاني من كتابه الشهير: « وجهة العالم الإسلامي». وهكذا رفع الستار عن الكتاب الذي عرف قصة شبيهة بكتاب «بروتوكولات حكماء صهيون».

ولا شك أن مراسلات بن نبي كثيرة. وهي قادرة على كشف جوانب مجهولة من حياته ومساعدة المهتمين بتراثه على فهم مواقفه من قضايا كثيرة خاصة ما تعلق بعلاقاته مع خصومه من السياسيين والمثقفين أو حياته الشخصية. وفي هذا السياق. أطلعني صديقه الليبي الدكتور محمد رفعت القنيش على مجموعة من الرسائل التي كتبها له بن نبي. وذلك أثناء لقائنا في تلمسان بمناسبة ملتقى دولي نظمته وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في ديسمبر 2011. حول فكرمالك بن نبي.

وشاءت الأقدار أن أكتشف بدوري نصوصا غير معروفة نشرها بن نبي في مجلات عربية أو ألقاها كمحاضرات في مناسبات علمية. وقد نشرت بعضها في كتابي «مالك بن نبي رجل الحضارة». ووجدت مؤخرا أثناء رحلتي إلى المغرب مقالات كتبها بن نبي في مجلة فكرية اسمها « الشراع» تصدر في إقليم تطوان يشرف عليها أحد مريدي بن نبي في القاهرة عندما كان طالبا بجامعتها. وهو الأستاذ محمد شهبون. بالإضافة إلى مجموعة من الدراسات والمقالات المنشورة في الجرائد والمجلات المغربية حول مالك بن نبي

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: إذا كان فكر مالك بن نبي عالميا وحيويا كما وصفناه في هذه الدراسة. فلماذا لم يتحقق على أرض الواقع إذن. أم أنه فكر عقيم غير قابل للتطبيق؟

والجواب هو أن كل فكرة تحتاج إلى من يتبناها و يحوّلها إلى عمل ملموس. والفكر البنابي النهضوي ينتظر من يجسده على أرض الواقع. وكان بن نبي نفسه مؤمن في قرارة نفسه أن المشاريع الكبرى لا تتجسد إلا إذا اجتمعت إرادتان: قلم العالم وسيف السلطان.

إنها الفكرة التي استخلصها من تجربة القائد عبد المؤمن بن علي والعالم المهدي بن تومرت اللذان أسسا دولة الموحدين. وهي الفكرة التي استنبطها أيضا من تأسيس الدولة السعودية التي توحدت فيها السلطة السياسية التي تمثلها أسرة آل السعود والسلطة العلمية والدينية التي تمثلها أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (آل الشيخ). وجسّدت بعض أفكار بن نبي في ماليزيا حينما تبناها الحكومة الماليزية واستفادت منها في مسيرتها التنموية.

هذه هي الأفكار الأساسية التي أردت أن أعالجها في هذه الورقة. وفي رحاب هذا الملتقى العلمي المنعقد إحياء للذكرى الأربعين لوفاة مالك بن نبي. راجيا أن تساهم في إثراء نقاش بناء يساعد على استيعاب الفكر البنابي بالإحاطة بحفرياته وتتبع مساراته والاستلهام من إبداعاته لاستكمال الرؤية الواضحة. واستنهاض الهمم من أجل الانتقال من التكديس إلى البناء. ومن شروط النهضة إلى الميلاد الجديد.

*** محاضرة قدمها الكاتب في ملتقى "الفكرة عند مالك بن نبي" الذي نظمه مركز الرؤية للدراسات الحضارية يومي 25 و26 أكتوبر 2013.**

-ملحق 01,مولود عويمر, مالك بن نبي.. راهب الفكر,جريدة البصائر,ع676 , 28أكتوبر-03نوفمبر 2013م,ص16.

16 الاثنين 21 - 27 محرم 1435 هـ /25 نوفمبر 01 ديسمبر 2013 العدد: 680
مـقاربـات
البصائر

مالك بن نبي في الصحافة المغربية

بقلم.د/ مولود عويمر *

يعتبر المغرب الأقصى من الدول العربية القليلة التي لم يزرها مالك بن نبي رغم تعلقه المبكر بثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف، وصلته المتينة بالنخبة المغربية التي تعرف عليها في باريس في الثلاثينات أمثال محمد الفاسي وأحمد بلفريج في رحاب جمعية طلبة شمال إفريقيا وجمعية الوحدة العربية، وأيضا تأثيره الفكري على الطلبة المغاربة الذين كانوا يواظبون على حضور ندوته الأسبوعية في القاهرة. ولا شك أن بن نبي لو زار المغرب لاستقبل بحفاوة كبيرة من الهيئات السياسية والعلمية كما استقبل بها الدكتور طه حسين في عام 1958 والشيخ محمد الفاضل بن عاشور في عام 1966، خاصة وأنه تلقى دعوة رسمية من وزير الأوقاف صديقه الأستاذ علال الفاسي للمشاركة في ملتقى دولي حول العلامة عبد الرحمان بن خلدون في ربيع عام 1962، إلا أن الظروف السياسية والعسكرية آنذاك لم تسمح له بالسفر إلى الرباط.

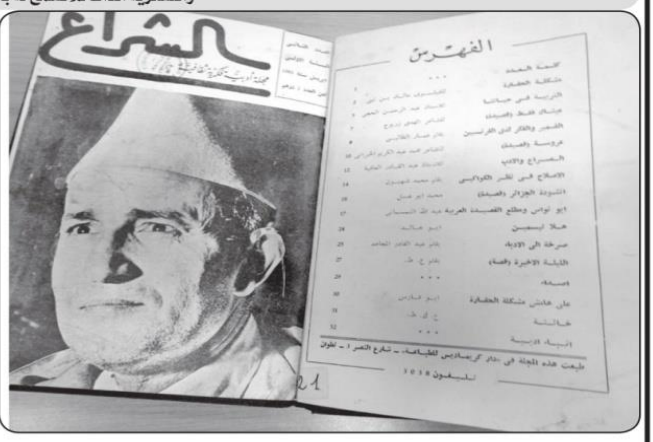

من اليمين إلى اليسار: عبد السلام الهراس مالك بن نبي الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي

جولات ومطالعات

لقد اغتنمت فرصة زيارتي الأخيرة إلى مدينة تطوان المغربية في شهر سبتمبر 2013 لأطلع في مكتباتها العامرة على المجلات والصحف التي تهتم بالتواصل الثقافي في المغرب العربي لعلي أجد فيها مقالات للمثقفين الجزائريين أو كتابات حولهم خلال المرحلة الاستعمارية.

ووجدت فعلا جرائد ومجلات جزائرية نادرة في المكتبة الداودية لصاحبها الأستاذ محمد داود - رحمه الله- رائد الصحافة العربية في المغرب. وعثرت كذلك في المكتبة العامة بتطوان على مجلات مغربية ساهم فيها الأدباء والعلماء الجزائريون. وأخرى نشرت فيها مقالات عنهم بأقلام مغربية أو عربية. منها ما تعلق بآثار مالك بن نبي التي سأقف عند بعضها في هذه المقالة. والتي تبرز المكانة العالية التي كان يتمتع بها هذا المفكر الجزائري عند المثقفين المغاربة.

مالك بن نبي في مجلة دعوة الحق

نشرت مجلة الحق التي كانت تصدرها وزارة الأوقاف المغربية فصولا من كتاب «الظاهرة القرآنية» في صدارة العددين المتتاليين السابع (أبريل 1962) والثامن (ماي 1962) إلى جانب صفوة العلماء والمفكرين العرب. فمن أشهر كتابها المغاربة. أذكر: علال الفاسي. محمد تقي الدين الهلالي. عبد الله كنون. محمد إبراهيم الكتاني. عبد الله الجراري. عبد الهادي التازي... أما من العرب والمسلمين. أذكر: أبو الأعلى المودودي. أبو الحسن الندوي. محمد المبارك. محمد بهجة البيطار. أنور الجندي. عمر بهاء الدين الأميري...الخ.

وفتحت كذلك صفحاتها للنخبة الجزائرية فكتب فيها أبو العباس أحمد التجاني. عبد الوهاب بن منصور. مفدي زكريا. علي مرحوم. صالح خرفي. وعبد المجيد مزيان...الخ. ولا بأس أن أذكر المقال الرائع « محمد البشير الإبراهيمي فقيد العروبة والإسلام» للقائد الفلسطيني المعروف عبد الله التل. أو قصائد نادرة لمفدي زكريا. ومقالات حول الثورة الجزائرية للشيخ علي مرحوم العضو البارز في جمعية العلماء ومسؤول إذاعة الثورة في تطوان.

كتب الدكتور عبد السلام الهراس في الأعداد الأولى لمجلة دعوة الحق تقاريظ لكتب بن نبي ك «شروط النهضة» وكتاب «مستقبل الإسلام» وهو العنوان الذي عرف به في البداية كتاب «وجهة العالم الإسلامي». وكان عبد السلام الهراس أقرب المثقفين المغاربة إلى مالك بن نبي. وأكثر الطلبة المواظبين على حضور ندواته الفكرية الأسبوعية. وقد تحدث عن تلك الذكريات في عدة محاضرات ومقالات وحوارات.

كانت هذه التقاريظ مستفيضة أحاطت بكل جوانب مؤلفات بن نبي. فصلا بعد فصل.

وشرح الهراس الأفكار وبين ملامح التجديد عند المفكر الجزائري في طرح مشكلات الحضارة في العالم الإسلامي بمنهج علمي متين. ولا غرابة في ذلك فالهراس قرأ هذه المؤلفات باللغة الأصلية (الفرنسية). وشارك في ترجمتها إلى العربية التي قام بها الأستاذ عبد الصبور شاهين وراجعها مع المؤلف جملة بعد جملة. كما سمع هذه الأفكار وشروحاتها في ندوة بن نبي. فالرجل تأقلم مع الفكر البنابي حتى أصبح جزءا ثابتا في مخياله وتصوره.

في صدارة مجلة الشراع

وهي مجلة أدبية ثقافية فكرية صدرت في عام 1961 في مدينة شفشاون بإقليم تطوان في الشمال المغربي. يحررها نخبة من المثقفين المغاربة. وكان من أبرزهم الأستاذ محمد شهيون خريج جامعة القاهرة وأحد مريدي ندوة مالك بن نبي. لهذا من الطبيعي أن يكون بن نبي من أول الأسماء التي تستكتب للمساهمة في المجلة.

نشرت المجلة مقالات بن نبي في صدارة الأعداد الأولى تحت العناوين التالية: مشكلة الحضارة. القيم الإنسانية والاقتصادية. الثورة والرأسمالية. وهكذا أصبح اسمه عنصرا ثابتا في قائمة كتاب المجلة التي كان يحرص مدير التحرير على نشرها في كل عدد ليعلن عن التواصل الفكري بين النخب المغاربية. رغم بعد المسافة وكثرة معوّقات التقارب التي صنعها المستعمر من جهة. وكرّسها القابلون للاستعمار من جهة أخرى.

وبينت هيئة التحرير سبب اختيار مقال بن نبي لتصدير العدد الأول ذلك بأنه تعتبره مساهمة مهمة لكاتب مرموق وصفته مرة بـ «الفيلسوف الاجتماعي الكبير». ووصفته مرة أخرى بـ «كاتب من الكتاب العظام أصحاب المبادئ والأفكار.» وهذا التقدير تعبير صادق عن تأثر هذه النخبة بالمفكر الجزائري الذي ترك بصماته على شباب العالم الإسلامي الذين قدموا إلى مصر للتعلم إلا أن العديد منهم وجدوا في ندوة مالك بن نبي الأسبوعية التي كان يقيمها في بيته البسيط ما لم يجدوه في الجامعة المصرية التي كان يدرّس فيها العلماء والأساتذة المصريون المرموقون. ذلك أن بن نبي ابتكر منهجا جديدا في تناول القضايا المعاصرة يعتمد على التحليل العميق والمقارنة الشاملة والنقد الدقيق ورسم الآفاق.

وقدمت مجلة الشراع عرضا مختصرا لأهم أفكار بن نبي. كما عدّدت أهم مؤلفاته التي بلغ عددها آنذاك 7 كتب. وهي: شروط النهضة. الظاهرة القرآنية. الفكرة الإفريقية الآسيوية. نحو مجتمع إسلامي (هكذا. والصواب هو ميلاد مجتمع). نحو كومنويلث إسلامي. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. في البناء الجديد.

وأكد المحرر بأن بن نبي ألف الكتب الستة الأولى بالفرنسية ثم ترجمت إلى العربية. بينما ألف الكتاب الأخير باللغة العربية «بأسلوب عربي مبين».

كما حرصت مجلة الشراع على استكتاب تلامذة مالك بن نبي المقربين. فكان منهم الأستاذ عمار الطالبي الطالب بكلية الآداب بجامعة القاهرة الذي نشر فيها عدة مقالات تناولت القضايا التالية: الضمير والفكر لدى الفرنسيين. حيرة الشباب الإسلامي. الفن والنقد والفلسفة. منطق الثورات...

في جريدة الحسنى

تصدر جريدة الحسنى الأسبوعية عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الإسلامية. وهي جريدة ناجحة استقطبت أبرز الأقلام الفكرية الرصينة في المغرب أمثال علال الفاسي. عبد الكريم غلاب. عبد الكريم الخطيب... وبادرت في العدد الأول بنشر مقال مالك بن نبي عنوانه: «مشكلة الحضارة» باعتباره أحد أكبر مفكري العصر. وحضوره في المجلة دليل طموح المجلة للارتقاء إلى مستوى الصحافة الهادفة المنتشرة في العالم العربي والإسلامي كجريدة البصائر في الجزائر. الدعوة في مصر. حضارة الإسلام في سوريا. الشهاب في لبنان. الضياء في الهند...الخ.

كما نشرت الجريدة مقالات عن بن نبي أبرزها ما كتبه الأستاذ إسماعيل الخطيب من دراسة عن كتاب « الظاهرة القرآنية». ومقالات أخرى في تحليل فكره البناء في مجال فلسفة الحضارة.

لقد نشرت المجلات الرسمية كدعوة الحق والحسنى وغيرها فصولا من فكر مالك بن نبي ليس لأنه مفكر عالمي أنتج رصيدا فكريا رصينا جدير بالترويج في وسائل الإعلام المختلفة. وإنما أيضا باعتباره من أبرز المثقفين الجزائريين والعرب الذين نصروا الملك محمد الخامس في محنته حينما عاقبته السلطة الاستعمارية الفرنسية على مواقفه الوطنية فعزلته عن عرشه ونفته خارج بلده. فكتب بن نبي مدافعا عنه في جريدة «الجمهورية الجزائرية» باللغة الفرنسية متوجها إلى الرأي العام الفرنسي ومتحديا السلطة الاستعمارية.

كما اهتمت به الصحف ومجلات المستقلة كالشراع اعترافا من محرريها بتأثرهم بهذا المفكر وتقديرهم لجهوده في استنهاض الهمم وتبصير العقول من أجل تأسيس نهضة حقيقية حُرّ الإنسان المسلم من كل المعوّقات.

ومازال فكر بن نبي محل اهتمام في الوسط الأكاديمي المغربي تشهد على ذلك الكتب والبحوث المنشورة حول تراثه. والندوات والمؤتمرات المنظمة باستمرار لدراسة أفكاره والاستلهام منها معالم الطريق نحو مستقبل أفضل.

ـ ملحق02,مولود عويمر, مالك بن نبي في الصحافة المغربية,جريدة البصائر,ع680, 25نوفمبر-01 ديسمبر2013م,ص16.

البصائر | ملف | الاثنين 24 - 30 محرم 1436 هـ / 17 - 23 نوفمبر 2014 العدد: 729 | 11

هكـــذا أصـــبـح مـــالك بـن نـــبـــي مـفـكـراً عـــالـمـيـــاً

أ.د مولود عويمر *

ليس الهدف من كتابة هذه الدراسة توضيح رؤية مالك بن نبي حول مفهوم العالمية ومناقشة آرائه في اتجاه البشرية نحو العولمة في نهاية القرن العشرين. ولا شك أن هذا الموضوع في غاية الأهمية وجدير بالبحث، وقد أشرت إليه فقط في هذا النص، وربما سأعود إليه في فرصة أخرى، وإنما كان غرضي الأساس هو محاولة إبراز معالم أساسية في مسار بن نبي ترشد كل من ينصرف إلى تناول الموضوع السابق، وتساعده على معرفة خلفياته وفهم تحاليله واستيعاب استنتاجاته، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكاليات التالية: كيف أصبح مالك بن نبي مفكراً عالمياً؟ ما هي الملامح الكبرى لعالمية فكره؟ إلى أين وصلت الدراسات العالمية حول فكر مالك بن نبي؟

مالك بن نبي في الصين جالس مع الزعيم الصيني ماو تسي تونغ

اتصاله المبكر بالآخر

احتك مالك بن نبي بالأوروبيين الذين كانوا يعيشون في المجتمع الجزائري -بعد الاحتلال الفرنسي- ليستفيد من ثقافتهم ويتعرف أكثر على حضارتهم.

كان أيضاً معجباً بمعلمته الفرنسية التي أدركت نبوغ تلميذها وعرفت كيف تساعده على تطوير ملكته للمطالعة وشحذ ذكائه المتدفق. فتعلم اللغة الفرنسية لغة الغالب الأبي (الفرنسية). كما سمحت له بالإطلاع على العالم واكتشاف تطور الثقافة. ووجد أيضاً في مدرسين فرنسيين آخرين نفس الاهتمام والتشجيع. وأقتبس هنا نصين من كتابه «مذكرات شاهد على القرن» عبّر فيهما عن هذه المعاني. قال في النص الأول: «وكان هذا المعلم (السيد مارتان) يثري تلاميذه بالمفردات ويطبع في نفوسهم الذوق وفن الكتابة. وكان يقرأ لنا أحياناً القطع الجيّدة التي كتبها من هم أكبر منا والذين قضوا في مدرسته أكثر من سنة. لقد طبع في نفسي هذا الأستاذ تذوّق القراءة.» (مذكرات، ص 48). وقال كذلك في النّص الثاني: « كان الأستاذ بوبريتي قد فتح لي آفاقاً جديدة، ولم يكن ذلك بفضل دروسه المقررة علينا كتاريخ الأزمنة القديمة والأدب الفرنسي-وإن تكن هذه قد تركت أثراً لا ينكر- إنما بفضل توجيهاته فيما نقرأ من كتب.» (مذكرات. ص 65)

لقد استفاد مالك بن نبي من هؤلاء المعلمين والمدرسين الفرنسيين تملك اللغة الفرنسية والإطلاع على الثقافات العالمية من خلال لغة العصر في تلك الحقبة أي الفرنسية. بينما لم يتأثر كثيراً بأيديولوجيتهم وتوجيهاتهم الغربية. فقد كان حلم هؤلاء المعلمين هو توجيه تلاميذهم الأوروبيين والمسلمين وخاصة المتميزين منهم من خلال دروسهم وثقافتهم في عملهم التربوي نحو التعلق بالحضارة الغربية والتمسك بالقيم الجديدة التي أفرزتها الحداثة وعلى رأسها تهميش الدين وإهمال العادات والتقاليد وتكريس العلمانية. وتؤكد العديد من البحوث العلمية ما ذهبت إليه وأشهرها كتابات عالمة الاجتماع فاني كولونا والمؤرخة إيفون تورين.

ويعترف مالك بن نبي نفسه بذلك بعد أن تدارك الخطر وخلا من التربية الاستعمارية في لبابها الإنسانية. ويعود الفضل من جديد إلى الدروس العربية والشرعية التي كان يأخذها على أساتذته الجزائريين في المدرسة الفرنسية الإسلامية والمسجد. ويتكرر هذا الإحساس عند بن نبي فيما بعد حينما يعيش في المجتمع الغربي. ويقيم في قلب الحضارة الغربية في فرنسا. فيأخذ منها إيجابياتها ويقاوم سلبياتها. فكان بهذا السلوك وفياً لمبادئه. ولم يقع فيما وقع فيه كثير من النخبة العربية المغتربة التي ذابت في الحضارة الجديدة. ونصبت العداء لثقافتها الأصيلة بعد عودتهم من بعثاتهم العلمية الأوروبية واستلامهم مقاليد مراكز التربية والتعليم و السلطة في البلاد العربية.

عندما نقوم بجرد قائمة الكتب التي قرأها مالك بن نبي في طفولته وشبابه نتأكد جميعاً أنه اطلع على تراث الإنسانية. فأضاف إلى بعده الجزائري أبعاداً جديدة في عالمه الفكري لتشمل كل الثقافات المعروفة آنذاك. فالعبقرية كما قال بن نبي «لا تولد فقط على ضفاف السين وضفاف التاميز. إنها يمكن أن تولد أيضاً على ضفاف الفاغ». وحينما أدرك هذه الحقيقة حَرّر ذهنه من القيود التي فرضها عليه الاستعمار.

وهكذا أصبحت مصادر بحث بن نبي متنوعة من حيث الروافد الحضارية. وثرية من حيث الاختصاصات. ومتجددة من حيث الموضوع. ففكره متأصل في التراث العربي والإسلامي. ومستلهم من الفكر الغربي. لذلك كانت كتاباته عميقة الجذور وشاملة الرؤية ومتفتحة على الآخر والمختلف. ومنتشرة في الآفاق. ومتدة في المستقبل.

العالم فضاء حضاري وليس جغرافي

لقد كان مالك بن نبي مولعاً بالسفر وحب المغامرات والرحلات. خاصة بعد أن قرأ روايات الكاتب الفرنسي جول فيرن. عميد أدب علم الخيال والمغامرات في العصر الحديث.

كانت هوايته في صغره النظر بعد الدرس في خارطة القسم والاستمتاع بخطوط العرض والطول وأسماء المدن والبلدان. وحققت كثير من أحلامه. فسافر إلى فرنسا عدة مرات وسيتعرف فيما بعد على عواصم عالمية عديدة بعد انطلاق شهرته.

ولما عمل مالك بن نبي مدرساً للعمال الجزائريين في مدرسة صغيرة بمدينة مرسيليا حرص على أن يحرر طلبته من القيد النفسي والزمني والمكاني. واختراق الآفاق من خلال ترسيخ مفهوم اللانهائية في أذهانهم. عوضاً عن الاكتفاء بالدروس العادية في القراءة والكتابة والحساب. فكانت البداية بشراء خريطة كبيرة للعالم كان يستعين بها على توسيع تصور تلاميذه (العمال) المكاني للوجود: القرية، المدينة، العمالة، الوطن، القارة، الكرة الأرضية، الكون. وهكذا تعلم التلامذة الأبعاد الجغرافية المختلفة. وانتقلوا من الذهنية التبعية الضيقة للوجود إلى العقلية الرحيبة والشعور بالانتماء إلى العالم اللامنتهي.

لقد استطاع مالك بن نبي أن يعولم الجزائر بحيث حوّلها إلى فضاء تصنع فيه الأفكار والقيم والأحداث. فقد فرض كلمات جزائرية في قاموس الفكر المعاصر، وروّج لشخصيات وأماكن جزائرية مغمورة فعبرت الحدود الجغرافية المحلية وانتشرت في العالم.

كتابات عالمية منذ البداية

كانت منطلقات بن نبي إنسانية منذ بداية مشواره الفكري فقد اهتم بقضايا ذات بعد عالمي فكتبه الأولى تكشف بداياته التي كانت منصبة على مناقشة أطروحات لمؤرخين ومستشرقين ذات الصيت العالمي. فكتابه الأول المعنون «الظاهرة القرآنية» هو مناقشة ودحض لنظرية المستشرق البريطاني مرجليوث في الشعر الجاهلي. وهي نظرية خطيرة لم تقف عند حدود أوروبا بل جاوزتها. فتبناها مثقفون من العالم العربي وروّجوا لها. كما فعل طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي».

وفرضت نفسها كإشكالية أساسية في الحياة الثقافية العربية. وقامت حولها معارك أدبية وفكرية انقسمت النخبة بين مناصر ومعارض. وهذه النظرية تقول بوهمية الشعر الجاهلي إذ أن هذا التراث القديم في نظر أصحابها ليس له صلة بالحقيقة، وإنما هو من صميم الخيال العربي.

وكان الهدف من كل هذا الضخب الفكري والأيديولوجي هو السعي للتشكيك في آيات من القرآن التي ورد فيها لحد صريح للعرب للإتيان بسور أو آيات في مثل بيان القرآن.

صحيح أن الصراع كان في ذروته في مصر إلا أن بن نبي الجزائري الذي كان يعيش في بلاد مشغولة بقضايا أخرى، اقتحم هذا الميدان وهو مازال شاباً ليشارك في هذا النقاش الكبير الذي هز الثقافة العربية والإسلامية. فكتاب «الظاهرة القرآنية» هو إذن خروج من عالم أفكار ضيق إلى التموقع في عالم أفكار واسع ذي أبعاد علمية كونية.

والكتاب الثاني هو «شروط النهضة الجزائرية». وعلى الرغم من ورود كلمة جزائرية في العنوان فإن الكتاب درس إشكالية النهضة والحضارة من جوانب ومقاربات تتجاوز الجزائر بكثير. وهذا ما دفع بن نبي نفسه إلى حذف هذه الكلمة الأخيرة في الطبعات الأخرى. والاكتفاء نهائيا بعنوان «شروط النهضة».

ذلك أن بن نبي انطلق من نظرية وضعها المستشرق الألماني هرمان دي كسرلنج صاحب كتاب «البحث التحليلي لأوروبا». وهذا ما صرح به بن نبي منذ الصفحة الأولى من كتابه. كما ناقش في الكتاب نفسه النظريات الكبرى التي عالج من خلالها كبار مفكري القرنين التاسع عشر والعشرين (كارل ماركس، أزوالد شبنغلر، أرنولد توينبي...) قضايا التاريخ والحضارة والتطور ومصير الإنسان.

وهكذا نلاحظ أن بن نبي كان منذ بدايات اشتغاله بالفكر وولوجه إلى عالم الكتابة سالكاً طريق عالم أفكار أوسع. فلم يهتم فقط بقضايا محلية وبقتصر على معالجتها في أفق محدود. بل طرحها في أبعادها الإنسانية وتناولها من مقاربات شاملة.

أما الكتاب الثالث: «وجهة العالم الإسلامي» فهو أيضاً عبارة عن مناقشة وتحليل لكتاب «الاتجاهات الحديثة في الفكر الإسلامي» للمستشرق الكبير هاملتون جب. أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد. يقول بن نبي في شأن هذا الكتاب: « هو سند له عندي وزن كبير». ويقول عنه في مكان آخر: «كتاب المستشرق الإنجليزي يعتبر مرشداً ثميناً لكتابي هذا في دراسة الأمراض (شبه الصبيانية) في العالم الإسلامي. ولكم أتمنى أن يتأمل موضوعاته كثيرون من المسلمين. كما تأملتها. وأن يقدروا فيه نزاهته التي سمت على كل مركب عقيدي أو سياسي.»

لقد اهتم مالك بن نبي بأربع قضايا كبرى. وكلها تمثل الباحث المشتغل بها في طريق المستقبل. وان كانت مواضيعها مرتحلة بالتاريخ. وهي: التراث الإسلامي. الحضارة المعاصرة. العلوم الاجتماعية. النهوض الحضاري. فبن نبي سبح في محيط التراث الإسلامي. واستنبط منه معالم هادية. ثم توقف عند مسالك الحضارة المعاصرة ونافش عوائقها وبيّن فرصها كما عالج المنهج الغربي في التعامل مع الوجود في جميع عناصره وأشكاله وأبعاده المختلفة. وكان غاية فكره هو استلهام من كل العناصر السابقة لتأسيس نهضة جديدة في العالم الإسلامي بكل مكوناته.

واقع الدراسات العالمية حول مالك بن نبي

تفطن مالك بن نبي مبكراً إلى أهمية ترجمة كتبه من الفرنسية إلى العربية لبناء جسور التواصل مع النخبة العربية والإسلامية خاصة بعد أن اكتشف خلال إقامته في القاهرة واتصاله بالطلبة العرب والمسلمين الذين كانوا يحضرون ندوته الأسبوعية في بيته وأصبحوا فيما بعد خير سفراء لفكره. أسرع بن نبي إلى تعريبها مستعيناً ببعض مريديه كاللبناني عمر كامل مسقاوي والمغربي عبد السلام الهراس والمصري عبد الصبور شاهين.

كما حرص على الولوج إلى الوسط الفكري العربي ونشر أفكاره بلا حدود. فوضع لكتبه الأولى المعربة تصديرات بأقلام مفكرين معروفين أمثال الأستاذ محمود شاكر، الدكتور محمد عبد الله دراز والأستاذ محمد المبارك. كذلك حرص على إهداء نسخ من كتبه إلى الشخصيات المؤثرة آنذاك في عالم السياسة والثقافة في الدول العربية والإسلامية وغيرها. سواء بالمراسلة أو تسليمها لهم مباشرة خلال زياراته لهم مثل الرئيس جمال عبد الناصر والزعيم الصيني ماو تسي تونغ. معمر القذافي...الخ.

لقد تزايد الاهتمام بفكر مالك بن نبي في العالم الإسلامي وفي الغرب. وترجمت كتبه إلى العربية والفرنسية والإنجليزية وغيرها من اللغات. وأقيمت حوله عدة مؤتمرات دولية تناولت بالبحث والدراسة فكره من جوانب متعددة. وأنجزت حوله رسائل جامعية في جامعات جزائرية وليبية ومصرية ولبنانية وسورية وسعودية وفرنسية وبريطانية وأمريكية ...الخ. كما نشرت حوله كتب ومقالات كثيرة بلغات متباينة في دول متعددة.

ليس غرضي هنا تحليل كل ما كتب عن فكر مالك بن نبي. فذلك يحتاج إلى بحث مستقل. ولكن لا بأس أن أشير هنا إلى الأرقام التالية التي تلخص ما أحصيته من كتابات حول مالك بن نبي (باللغات العربية والفرنسية والانجليزية). ونشرتها بالتفصيل في الطبعة الأولى (2011) من كتابي مالك بن نبي في الكتابات المعاصرة: 26 كتاب. 28 رسالة جامعية. 210 مقال وبحث. 40 محاضرة. 28 حوار وشهادة. والمجموع 332 عمل. ويتضمن كتابي في طبعته القادمة أكثر من 400 عنوان.

وتوصلت كل هذه الدراسات إلى القول بنجاح بن نبي في وضع نظريات أو مشروع فكري متكامل لبلاد مجتمع. وارتقائها إلى النظريات الكبرى التي وضعها عمالقة الفكر الإنساني. ولعلّ هذا ما دفع عديد من المؤسسات العلمية التي اعترفت بالقيمة العلمية لأفكار مالك بن نبي وأبعادها الإنسانية إلى ترشيحه لنيل جائزة نوبل العالمية للسلام تقديراً لإسهاماته في حل مشكلات الإنسان المعاصرة.

لم أجد خلال دراستي لفكر بن نبي من يناقسه في معالجة مشكلات الإنسان من حيث شموليتها الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلا ابن خلدون وكارل ماركس. فإذا استطاع المتأثرون بابن خلدون أن يؤسسوا الخلدونية. وتمكن المعجبون بماركس من تأسيس الماركسية. فلماذا عجز أحد الآن تلامذة بن نبي والمتأثرون بفكره -على كثرتهم- أن ينشئوا «البنابية» رغم عبقرية هذا الفكر واكتمال مشروعه الفكري؟

* رئيس التحرير

- ملحق03,مولود عويمر,هكذا أصبح مالك بن نبي مفكرا عالميا,جريدة البصائر,ع729, 17-23 نوفمبر 2014م,ص11.

20 الاثنين 23 - 29 ذو الحجة 1434 هـ /28 أكتوبر 03 نوفمبر 2013 العدد: 676
تغطية
البصائر

ملتقى مركز الرؤية: «الفكرة عند مالك بن نبي»

ولِمَ لا تكون مدرسة جزائرية في العلوم الاجتماعية منطلقها المفكر مالك بن نبي رحمه الله.

تغطيـــة: تميـــم

إحياء للذكرى الأربعين لوفاة المفكر العالمي الجزائري مالك بن نبي رحمه الله، نظم مركز الرؤية للدراسات الحضارية، يومي الجمعة والسبت 25/26 أكتوبر 2013، ملتقى وطنيا بدار الإمام بالمحمدية، تحت عنوان «الفكرة عند مالك بن نبي»

انطلقت أشغال الملتقى بعد صلاة الجمعة مباشرة، فكان الاستقبال ابتداء من الساعة الثانية ونصف بعد صلاة الجمعة، ثم الشروع في الأشغال بالكلمة الافتتاحية التي ألقاها الأستاذ عبد الله لعريبي، التي كانت بمثابة الإشكالية التي ستجيب عنها محاضرات الملتقى التسع، حيث قال إن الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي ليست في عالم أشياء، ولا في عالم الأشخاص، وإنما هي في عالم أفكاره، وأن الثروة الحقيقية في المجتمعات ليست في ما تملك من أشياء، وإنما فيما عندها من أفكار حية وفاعلة.

تناول الملتقى بالدراسة والتحليل أفكار مالك بن نبي، من خلال تسع محاضرات ألقيت في ثلاث جلسات أدارها ثلاثة من تلامذة مالك بن نبي رحمه، وهم الدكتور محمد سعيد مولاي، والأستاذ عبد الوهاب بن حمودة، والدكتور عمار طالبي.

فالجلسة الأولى التي أدارها الدكتور محمد سعيد مولاي، وعنوانها «هل نعرف بن نبي؟» فكانت في أمسية الجمعة، بثلاث محاضرات، المحاضرة الأولى للدكتور مولود عويمر، وكان موضوعها التعريف بابن نبي، وقد استخلص المحاضر فيها من خلال سرد جوانب كثيرة من حياته الخاصة والعامة، أن مالك بن نبي ولد ليموت مفكرا..؛ بل إن بن نبي فشل في تجارب كثيرة خاضها، فجرب التجارة وحاول الهجرة طلبا للرزق، وحاول الدراسة في مجالات معينة أحبها، وفشل في كل ذلك..لتوجهه العناية الإلهية إلى عالم الفكر، والفكر المتميز.

أما المحاضرة الثانية فقد كانت للدكتور لخضر شريط وموضوعها التعريف بمؤلفات مالك بن نبي، التي جاوزت العشرين مؤلفا، وقد صنفها الدكتور شريط إلى أربعة محاور، محور التنظير، ومحور الـ«سوسيو سياسية»، ومحور في السيرة، وأخيرا بن نبي والفكر الإسلامي، الذي عرض فيه النماذج والمقارنة والنقد والبناء والأفق، ليستنتج في النهاية أن جميعها خلاصات فكرية أصيلة حتاج الإثراء والدراسة والتحليل، وليست مجرد مقالات صحفية جاهزة لمجرد الاستهلاك.

المحاضرة الثالثة وكانت للدكتور عمار طالبي الذي هو من تلاميذ بن نبي وموضوعها «ملامح فكر مالي بن نبي»، فقد ركز المحاضر على منهجية مالك بن نبي في طرح الأفكار ومناقشتها، ثم عرج على كيفية صياغته للأفكار، فقال إن بن نبي يمتاز بـ«تحليل الظواهر الاجتماعية الحضارية تحليلاً يظهر عناصرها وأصولها على طريقة الكيميائيين في تحليلاتهم للظواهر المادية، لينتهي بعد ذلك إلى صياغة نتائجه في صيغة معادلة رياضية تمتاز بالاختصار والدقة»، ثم اتبعت المحاضرات الثلاث بمناقشات وتعقيبات الحاضرين.

وفي اليوم الثاني بدأت الأشغال على الساعة التاسعة، وكانت الجلسة الأولى برئاسة الأستاذ عبد الوهاب حمودة، وتتضمن ثلاث محاضرات، الأولى كانت للأستاذ عبد الرحمن بن عمارة وهو من تلاميذ مالك بن نبي رحمه الله، وكانت محاضرته بالفرنسية، ورغم أنه مفرنس فإنه لم يعجز عن تبليغ أفكاره بلغة عربية لا بأس بها، ولكن يبدو أن وفاءه للأفكار فرض عليه أن يبلغها باللغة التي يتقنها، وبالفعل فإن متابعته

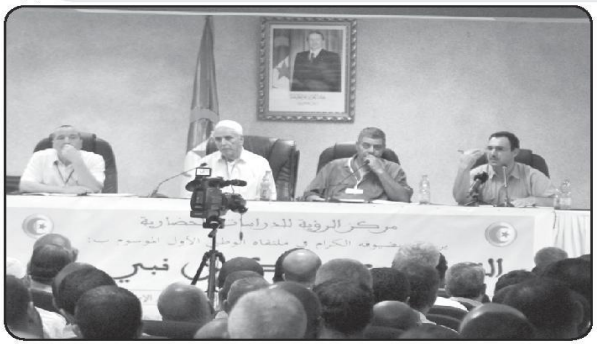

وهو يلقي بالفرنسية يشعر أنه يسترسل في عرض ما يريد بأسلوب سلس يفهمه حتى الذي لا يحسن الفرنسية، وموضوع محاضرته هو مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي الذي له عدة تعريفات بتعدد الوظائف، كما ذكر الأستاذ بن عمارة الفواصل والحدود والمواصفات التي ينبني عليها مفهوم الحضارة، كما في معرض كلامه عن واقعة صفين التي اعتبرها بن نبي رحمه الله بداية توقف إشعاع الروح وتوقف الصعود الحضاري، وتساءل المحاضر لماذا لم يعتبر واقعة الجمل مثلا معلما لذلك؟ ويجيب المحاضر لأن واقعة الجمل هي واقعة اجتهادية لم تخرج عن جوهر الصف الإسلامي، بينما واقعة صفين هي امتداد لاغتيال الخليفة الثالث لتؤسس إلى منهج جديد في مؤسسات الدولة الإسلامية، الذي هو التأسيس للاستبداد، والشروع في التحول إلى الملك العضوض.

المحاضرة الثانية للدكتور الطيب برغوث وموضوعها أثر الفكرة الدينية في حركة المجتمع، حاول الأستاذ الطيب استكشاف الرؤية الفكرية والمنهجية التي تعالج هذه القضية المحورية في حركة الاستخلاف البشري، فلاحظها مبثوثة فيما ترك الأستاذ بن نبي من آثار، ولكنها تحتاج إلى جهود مكثفة لاستخراجها، ودعا الأستاذ بهذه المناسبة إلى دراسة بن نبي دراسة علمية جادة، والتأسيس لمدرسة سننية فاعلة مبنية على إعادة اكتشاف بن نبي وصياغة مشاريع نهضوية في الجزائر والعالم، ولِمَ لا تكون مدرسة جزائرية في العلوم الاجتماعية منطلقها المفكر مالك بن نبي رحمه الله.

المحاضرة الثالثة وكانت للدكتور عمار جيدل التي كشف فيها عن معنى الفكر الذي هو جوهر الإنسان، ولكن هذا الجوهر ليس لغوا أو فاضل قول وإنما هو معتقدات ومفاهيم وقناعات طبعت في القلب فتحولت إلى حركة وفعل ينفع الناس، فبن نبي رحمه الله لم يكن مترف قول أو وعاء حشو، وإنما كانت له أفكار لها طابعها التنموي المتميز.

ثم اختتمت المحاضرات بمناقشات وتعقيبات على المحاضرات.

أما الجلسة الثالثة وهي الجلسة الثانية ليوم السبت فقد استؤنفت على الساعة الثانية وربعا، برئاسة الدكتور عمار طالبي وعنوانها أفكار مالك بن نبي من التنظير إلى التدبير، فقد كان هذا المحور محاولة لمناقشة بعض طروحات بن نبي التي جسد فيها كيفية الانتقال من التنظير الفكري إلى التدبير العملي، فخصصت لذلك ثلاث محاضرات، المحاضرة الأولى للدكتور حسين آيت عيسى، وموضوعها التربية الحضارية، فقد أوضح المحاضر أن بن نبي لم يفرد موضع التربية بالتأليف، ولكنه في طروحاته المتنوعة توجد نتف من قضايا التربية والتنظير التربوي، فهو يتكلم عن الإنسان من حيث هو أهم عناصر الحضارة المكونة من» الإنسان والتراب والوقت». وما هي الشروط التي ينبغي توفرها فيه؟ وما هي شروط وضوابط فاعليته؟ وما هو النموذج المنشود؟ لتصل في النهاية إلى مفهوم للتربية وإن لم يصرح بذلك؛ لأن البحث في إيجاد إنسان الحضارة، يعني كيفية تربية هذا الإنسان ليكون كذلك. المحاضرة الثانية هي مشروع النهضة مع رؤية اقتصادية لدى مالك بن نبي رحمه الله، للدكتور محمد ناصر ثابت. اعتبر المحاضر أن الفكر الاقتصادي عند بن نبي متوجه إلى توجيه الاستثمار بتحرير الطاقات، لتحقيق الإعمار في مشاريع تلبي حاجات الناس... وأشار المحاضر إلى ضرورة تأصيل التنظير الاقتصادي، ليؤدي وظيفته كاملة.

أما المحاضرة الثالثة فكانت للدكتور سليم قلالة فقد كان موضوعها المستقبل والاستشراف في فكر مالك بن نبي، من خلال عرضه لأربعة نقاط متعلقة بالسياسة والعلاقات الدولية:

-1 القوة
-2 التقدم
-3 القطبية الدولية
-4 الحرب والسلام

وذلك من خلال ستة مؤلفات لبن نبي: مشكلة الثقافة، الفكرة الأفروآسيوية، شروط النهضة، فكرة كومنويلث إسلامي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ميلاد مجتمع.

ليصل إلى أن بن نبي يعتبر الاهتمام بالمستقبل هو نفي للتخطيط وفقر سياسة السهولة المستندة إلى العاطفة والشهوانية.

وذكر قلالة في محاضرته نموذجا لاستشرافات مالك بن نبي، أنه كان يميز الصين عن الاتحاد السوفياتي رغم أنهما من مدرسة سياسية واقتصادية واحدة؛ لأن الصين تنتمي إلى المجتمع الآسيوي بكل ما يحمل الانتماء من خصائص وتميز، أما روسيا فتنتمي إلى الغرب أي محور واشنطن موسكو، بكل ما يحمل الانتماء من معان ومضامين.

ثم اتبعت هذه المحاضرات الثلاث بمناقشة وتعقيبات أثرت الموضوع.

وفي الأخير اختتمت بتلاوة توصيات خلاصتها دعوة الأساتذة والطلبة والدارسين وكل المهتمين بفكر مالك بن نبي إلى تحويل هذا الاهتمام إلى دراسات معمقة ومشاريع تنموية ونهضوية تفيد الإنسان عموما والجزائري خصوصا.

- ملحق04,تميم,ملتقى مركز الرؤية(الفكرة عند مالك بن نبي),جريدة البصائر,ع676 , 28أكتوبر-03نوفمبر 2013م,ص20.

المصادر والمراجع

. المصادر والمراجع:

. المصادر:

01. القرآن الكريم .
02. ابن منظور, لسان العرب, مجلد1, ط1 , دار صادر, بيروت.
03. مالك بن نبي, الظاهرة القرآنية,تر:عبد الصبور شاهين,ط4,دار الفكر,دمشق,2000م .
04. مالك بن نبي, الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ،دار الفكر, دمشق ,1981 م .
05. مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد, ط3, دار الفكر دمشق, 2000 م.
06. مالك بن نبي, العفن مذكرات الجزء الأول(1940-1932م), تر: نور الدين خندودي ط1, دار الأمة, الجزائر, 2007 م.
07. مالك بن نبي , القضايا الكبرى, ط1 , دار الفكر, دمشق,2002 م.
08. مالك بن نبي, إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث, ط1, دار الرشاد بيروت, 1969م.
09. مالك بن نبي , بين الرشاد والتيه, ط1 , دار الفكر, دمشق, 2002 م.
10. مالك بن نبي , تأملات, ط1 , دار الفكر , دمشق, 2002م.
11. مالك بن نبي, دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين, ط1, دار الفكر دمشق,1991م.
12. مالك بن نبي , لبيك حج الفقراء, تر: زيدان خويلف, ط1, دار الفكر, دمشق, 2009م.
13. مالك بن نبي, مجالس دمشق, ط1, دار الفكر, دمشق, 2006 م.
14. مالك بن نبي , مذكرات شاهد للقرن, ط2, دار الفكر, دمشق, 1984م.
15. مالك بن نبي, من أجل التغيير, ط1, دار الفكر, دمشق, 2005 م .
16. مالك بن نبي, مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة:بسام بركة, وَ أحمد شعبو ط1, دار الفكر, دمشق, 2002م.
17. مالك بن نبي, ميلاد مجتمع, تر:عبد الصبور شاهين,ج1,دار الفكر, دمشق, 1981 م .
18. مالك بن نبي, فكرة الإفريقية الآسيوية, تر:عبد الصبور شاهين,ط3, دار الفكر,دمشق 2001م.
20. مالك بن نبي: فكرة كمنويلث إسلامي, تر:الطيب برغوث, ط1, دار الفكر, دمشق 2000م.

19. مالك بن نبي, في مهب المعركة , ط3 , دار الفكر, دمشق , 2002م.
20. مالك بن نبي : شروط النهضة, تر:عبد الصبور شاهين , دار الفكر, دمشق, **1986**م.
21. مالك بن نبي , وجهة العالم الإسلامي, تر:عبد الصبور شاهين,ط1,دار الفكر, دمشق 2002 م.
22. مالك بن نبي, وجهة العالم الإسلامي الجزء الثاني المسألة اليهودية , ط1, دار الفكر دمشق, 2012 م.
23. لخضر بورقعة , مذكرات الرائد لخضر بورقعة شاهد على اغتيال الثورة , ط2 شركة دار الأمة , الجزائر, 2000م.
24. عمارطالبي, آثار ابن باديس , مج1, ج1, ط3 , الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود, الجزائر,1997م .

. المراجع:

01. أبو القاسم سعد الله , الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945م , ج3 , ط4 , دار الغرب الإسلامي , بيروت, 1992م.
02. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج7، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م.
03. أبوالقاسم سعدالله, تاريخ الجزائر الثقافي, ج10, ط خاصة, دار البصائر, الجزائر 2007م .
04. أحمد طالب الإبراهيمي , أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي, ج5, ط1، دار الغرب الإسلامي, بيروت،1997 م.
05. الطاهر سعود, التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي, ط1, دار الهادي, بيروت 2006 م.
06. جيلالي بوبكر, البناء الحضاري عند مالك بن نبي, دار المعرفة, الجزائر, 2010 م.
07. خليفة الشاطر, وآخرون, تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال, ج3 مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية , تونس, 2005م.
08. زكي الميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، ط**1** ، دار الفكر المعاصر، بيروت 1998م .
09. محمد البنعيادي, مالك بن نبي في ذاكرة عبد السلام الهراس, ط**2**, دار الشاطبية الجزائر, **2012** م.

10. محمد البشير الإبراهيمي,الطرق الصوفية,ط1, مكتبة الرضوان, الجزائر,2008 م.
11. محمد شاويش, مالك بن نبي والوضع الراهن, ط1, دار الفكر, دمشق, 2007م.
12. موسى لحرش ، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي ، المطبعة الجهوية , قسنطينة, 2006 م.
13. نور الدين مسعودان, مالك بن نبي بقلم معاصريه , دار النون , الجزائر.
14. عبد الله العقيل , من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة , ج2, ط8 دار البشير, الرياض , 2008 م.
15. عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره, ط1, الشبكة العربية للأبحاث والنشر العويسي, بيروت, 2012م.
16. عمر مسقاوي, في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء الجديد, ج1 ط1, دار الفكر, دمشق, 2013 م.
17. فوزية بوريون, مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة, ط1, دار الفكر دمشق, 2010م.

. الرسائل الجامعية:

01. الطاهر ابرير,وَ قويدر بوسويلف, مالك بن نبي رجل فكر و إصلاح(1905-1973م) مذكرة ليسانس في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر, قسم التاريخ, جامعة محمد بوضياف المسيلة , 2012-2013م.
02. العابد ميهوب, الفكر التربوي عند مالك بن نبي, أطروحة دكتوراه, جامعة محمد خيضر بسكرة, قسم العلوم الاجتماعية, 2013-2014م.
03. خيرة دحماني , أسس بناء الحضارة في فكر مالك بن نبي, مذكرة ماستر, فلسفة عربية حديثة و معاصرة , قسم العلوم الاجتماعية , جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة 2014-2015م.
04. لخضر حميدي, مشكلة التغيير عند مالك بن نبي, مذكرة ماجستير فلسفة إسلامية قسم الفلسفة , جامعة الجزائر, 2004-2005 م.
05. محمد لعاطف , معوقات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك بن نبي , مذكرة ماجستير فلسفة , قسم الفلسفة جامعة الجزائر,2007-2008 م.

06. نعيمة بغداد باي, مفهوم السياسة والأخلاقيات السياسية عند المفكر مالك بن نبي مذكرة ماجستير تخصص فرع سياسي وإداري, قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية جامعة الجزائر(بن يوسف بن خدة), 2005-2004 م.

07. علي أرفيس, إشكالية النهضة بين مالك بن نبي وسيد قطب, مذكرة ماجستير في فلسفة الحضارة , قسم العلوم الإنسانية, جامعة الحاج لخضر باتنة , 2011-2012 م.

08. عمر بن سليمان , البعد الحداثي في فكر مالك بن نبي , مذكرة ماجستير في الفلسفة قسم الفلسفة , جامعة الجزائر, 2008-2009 م.

. الجرائد:

. جريدة البصائر,ع 676 , 28 أكتوبر-03 نوفمبر2013م .

. جريدة البصائر,ع 680, 25 نوفمبر-01 ديسمبر2013م .

. جريدة البصائر,ع 729 , 17- 23 نوفمبر2014م .

. مواقع الانترنت:

1- www.binnabi.net

2- www.binbadis.net

3- www.elkhabar.com

4- www.youtube.com

5- www.arab-ency.com

6- www.kitabat.info

7- www.ahlalhdeeth.com

8- www.ikhwanwiki.com

9- www.elhiwardz.com

الـفـهارس

فهرس الأعلام

. فهرس الأعلام:

(أ)

. أبو القاسم سعد الله: 4 17, 18, 37.

. أحمد رضا:7.

. أحمد قايد:13.

. أنور السادات: 11.

. أوجين يونغ:7.

. إيمان:11.

. آيت مسعودان:12.

. الأمير خالد: 37.

. الأمير عبد الكريم الخطابي: 5.

. الأمير عبد القادر: أ 24.

. الإبراهيمي: 4, 17.

. الحاج عمربن مصطفى بن الخضير:2.

. الصادق سلام :12 17, 18.

. العربي التبسي:7.

(ب)

. بن العابد:7.

. بن الساعي:7.

. بن باديس:5, 7, 16 37.

. بن بلة: 11, 13, 21.

. بن خلدون:33 ,36 .

. بن مهيدي:20.

. بن موهوب:7.

. بهيجة:4.

. بوبريتي:7.

. بومدين: 12, 13.

. بيل: 6.

(ت)

. تيرار:5.

(ج)

. جمال عبد الناصر:10 44.

(ح)

. حمّة:5.

(خ)

. خدوجة حواس: 12 ,13.

(د)

. دورنون: 9.

(ر)

. رافي:6.

. رحمة:11.

(ز)

. زليخة:4.

. زهيرة بن عيسى: 2.

. زينب مصقالجي:2, 5.

(ل)

. لخضر بورقعة: 11 20, 21.

(م)

. مارتان:6.

. مالك بن نبي:2 ,3, 4 5, 6, 7, 10 11, 12, 13, 15, 18, 19, 21, 23, 26 28, 29, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37.

. محمد العيد آل خليفة: أ.
. محمد عبده: 7.
. محمود:4, 33.
. مصالي: 11, 21, 37.
. مصطفى الخياطي:13.
. مصطفى بن بوالعيد: 20.
. مولود بن موهوب: 7.

(ع)

. عبان:20 ,21.
. عباس لغرور: 20.
. عبد المجيد: 5, 6.
. عتيقة:3.
. عمار طالبي: 11, 13, 33.

(ف)

. فرحات عباس: 16, 37.
. فاطمة:3, 8.

(س)

. ساعد:3.

(و)

. ويلسون:7.

فهرس الأماكن والبلدان

. فهرس الأماكن والبلدان:

(أ)

. الجزائر :أ,ت,3 , 5, 7 ,8, 9 , 10 11, 12, 16, 18, 19, 20, 21, 22 24, 28 31, 32, 37, 39.

. إفريقيا:8, 10, 23.

. أفلو: 9.

. القاهرة: 10, 11, 18, 19, 28 .

. أمريكا: 7.

. السودان:8.

. الدار البيضاء:12.

. العاصمة:12, 21.

. استراليا:8.

. أوربا:32, 40.

(ب)

. باريس:8, 10, 12, 16, 18, 31.

(ت)

. تبسة: 4, 5, 6, 9, 10, 43.

. تونس: 3.

(م)

. مرسيليا:10.

. مصر: 10, 11, 31.

(ف)

. فرنسا: 4, 7, 8, 9, 10, 15, 18 24.

(س)

. سانت جنفييف:8.

(ش)

. شلغوم العيد:9.

فهرس

الموضوعات

. فهرس الموضوعات:

بسملة .....
إهداء .....
شكر.....
مقدمة.....أ
الفصل الأول: حياة مالك بن نبي(1905- 1973م).....1
المولد.....2
النشأة الاجتماعية.....3
تعلمه ومغذيات فكره.....5
تجربته الوظيفية في الجزائروفرنسا ومصر.....9
مكانته في الجزائر المستقلة.....11
الفصل الثاني: مواقف مالك بن نبي من قضايا عصره.....14
مواقفه من سياسات ومطالب الحركة الوطنية.....15
موقف ابن نبي من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....15
موقف ابن نبي من الثورة التحريرية.....17
موقف ابن نبي من مؤتمر الصومام.....19
الظاهرة الاستعمارية.....22
أقسام الاستعمار.....22
القابلية للاستعمار.....23
الغزو الفكري.....24
الاستعمار ونهضة المسلمين.....25
الفصل الثالث : إسهاماته في المجال الفكري.....27
أعماله الفكرية.....29
مواضيع اجتماعية.....29
الصراع الفكري والثقافي.....30
في آفاق العالم الإسلامي.....31

مالك بن نبي في ميزان الدارسين.....33
خاتمة.....40
ملاحق.....42
المصادر والمراجع.....50
فهرس الأعلام.....56
فهرس الأماكن والبلدان.....59
فهرس الموضوعات.....60